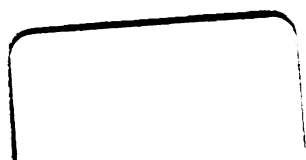




This book should be returned to the Library on or before the last date stamped below.
A fine is incurred by retaining it beyond the specified time.

2



1914

1915

1916

1917

1918

مقدمة ابن خلدون

5

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE,

Edmé Marc
PAR M. QUATREMÈRE.



PARIS.

TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES, FILS ET C^o.

IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,

RUE JACOB, 56.

M DCCC LVIII.

1877, S. 1. 2. 3.

Comes 16, R. 1, 17, R. 1, 18, R. 1, 19, R. 2.

Gray Stone.

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى الحمد لله الذي له العزة
والجبروت وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنی والنعوت
العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجومى او يخفيه السكوت القادر فلا
يعجزه شئ فى السموات والارض ولا يفوت انشاءنا من الارض نسبا
واستعمرنا فيها اجيالا واما وبسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا
الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

TOME XVI. — I^{re} Partie.

1

وتَعْتَوِرُنَا الأَجَالُ التِّي حَطَّ عَلَيْنَا كِتَابَهَا المَوْقُوتُ وَلَهُ البَقَا وَالثَّبُوتُ وَهُوَ الحَقُّ الذِي لَا يَمُوتُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَي سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ العَرَبِيِّ المَكْتُوبِ فِي التَّوْرِيَّةِ وَالأَنْجِيلِ الهِنْعُوتِ الذِي تَمَخَّضَ لِفَصَالِهِ الكَوْنِ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الآحَادُ وَالسَّبُوتُ وَيَتَبَايِنَ زَحَلُ وَالبَهْمُوتُ وَشَهِدَ بِصَدَقَةِ الحَمَامِ وَالعَنكَبُوتِ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ الذِينَ لَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ الأَثَرُ البَعِيدُ وَالصَّيْتُ وَالشَّمْلُ الجَمِيعِ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلَعَدُوهُمْ الشَّمْلُ الشَّتِيْتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ لِلإِسْلَامِ جَدَّةُ المَبْخُوتِ وَانْقَطَعَ بِالكُفْرِ حَبْلُهُ المَبْتُوتِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا (أَمَّا بَعْدُ) فَان فَنَ التَّارِيخِ مِنَ الفُنُونِ التِّي تَتَدَاوَلُ الأُمَمُ وَالأَجْيَالُ وَتَشَدُّ إِلَيْهِ الرِّكَايِبُ وَالرِّجَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالأَعْفَالُ وَتَتَنَافَسُ فِيهِ المَلُوكُ وَالأَقْيَالُ وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ العُلَمَاءُ وَالجُهَّالُ إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَي إِخْبَارِ عَنِ الأَيَّامِ وَالدُّوَلِ وَالسُّوَابِقِ مِنَ القُرُونِ الأَوَّلِ تَتَبَّقُ لَهَا الأَقْوَالُ وَتَتَصَرَّفُ فِيهَا الأَمْثَالُ وَتَتَطَرَّفُ بِهَا الأَنْدِيَّةُ إِذَا غَضَّهَا الأَحْتِفَالُ وَتُودِي لَنَا شَانَ الخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الأَحْوَالُ وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ النُّطَاقُ فِيهَا وَالمَجَالُ وَعَمَرُوا الأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الأَرْتِحَالُ وَحَانَ مِنْهُمُ الزُّوَالُ وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ لِلكَايِنَاتِ وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الوُقَايِعِ وَاسْبَابِهَا عَمِيقٌ فَهُوَ لِذَلِكَ أَصْلُ فِي الحِكْمَةِ عَرِيقٌ وَجَدِيرٌ بَانَ يَعَدُّ فِي عِلْمِهَا وَخَلِيقٌ وَأَنَّ فِجْوَ المَوْرُخِيْنَ فِي الإِسْلَامِ قَدْ اسْتَوْعَبُوا إِخْبَارَ الأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفْحَاتِ الدَّفَاتِرِ

وادعوها وخطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهو فيها
 وابتدعوها وزخرف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى
 تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وادوها لنا كما سعوها
 ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات
 الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب
 كليل والغلط والوهم نسيب للاخبار واخليل والتقليد عريق في
 الادميين وسليل والتطفيل على الفنون عريض طويل ومرعى
 الجهل بين الانام وييل والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف
 بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو يملى وينقل والبصيرة تنقد
 الصحيح اذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل هذا
 وقد دون الناس في الاخبار واكثرها وجمعوا تواريخ الامم والدول في
 العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة واستفرغوا
 دواوين من قبلهم في صحفهم المتاخرة فهم قليلون لا يكادون
 يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق
 والطبرى والكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي
 والمسعودي وغيرهم من المشاهير والتميزين عن الجماهير وان
 كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغز ما هو
 معروف عند الاتبات ومشهور بين الحفظة والثقات الا ان الكافة
 اختصوهم بقبول اخبارهم واقتفا سننهم في التصنيف واتباع آثارهم
 والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون او اعتبارهم

فـللـعـمـرـان طـبـايـع فـي اـحـوالـه يـرـجـع اليـها الـاـخـبـار و تـحـمـل عـلـيـها
 الرـوايـات و الـآثـار ثم ان اـكـثـر التـواريـخ لـهـولـاء عـامـة المـنـاهـج و المـسـالـك
 لـعـوم الدـولـتـين صـدر الـاسـلام فـي الـآفـاق و المـهـالـك و تـنـاولـها البـعـيد
 مـن الغـايـات فـي الـبـا خـذ و الـهـتـار كـ و مـن هـولـاء مـن اوعـب ما قـبـل الـهـلـة
 مـن الدـول و الـامـم و الـامـر الـعـم كـالمـسـعـودى و مـن نـحـا مـنـجـاه و جـاء بـعـدهـم
 مـن عـدل عـن الـاطـلاق اـلى التـقـيـيد و و قـف فـي العـموم و الـاحـاطـة عـن
 الشـا و البـعـيد فـقـيـد شـوار د عـصـره و اسـتـوعـب اـخـبـار افـقـه و قـطـره و اقـتـصر
 عـلى اـحـادـيـث دـولـته و مـصـره كـما فـعل اـبـن اـبـو حـيـان مـورخ الـانـدلس
 و الدـولـة الـامـويـة بـها و اـبـن الرـقـيـق مـورخ افـرـيـقيـة
 و الدـولـة الـتي كـانـت بـالقـيـروان لـم يـات مـن بـعد هـولـاء الـامـقـلد و بـليـد
 الطـبع و العـقل او مـتـبـلد يـنـسـج عـلى ذلـك المـنـوال و يـحـتـذى مـنـه
 بـالمـثـال و يـذـهـل عـما اـحـالـته الـايـام مـن الـاحـوال و اسـتـبـدلت بـه مـن
 عـوايـد الـامـم و الـاجـيـال فـيـجـلـبـون الـاـخـبـار عـن الدـول و حـكـايـات الـوقـايـع
 فـي العـصـور الـاولـى صـورا قـد تـجـردت عـن مـوادها و صـفا حـا انتـضـيـت
 مـن اغـهـادها و مـعارف تـسـتـنـكر للـجـهـل بـطـارـفها و تـلادها انـها هـي
 حـوادث لـم تـعـلم اصـولها و انـواع لـم تـعـتـبر اجـناسها و لا تـحـقـقت
 فـصولها يـكـرـرون فـي مـوضـوعاتها الـاـخـبـار المتـداولة باعيانها اتبـاعا
 لـهن عـنى مـن المـتـقـدمـين بـشـانها و يـغـفلـون امـر الـاجـيـال النـاشـية فـي
 ديوانها بـما اعـوز عـلـيـهم مـن تـرجمـانها قـتـسـتـعـجم صـحـفـهم (1) عـن

(1) Manusc. B. صـحـفـهم; manusc. C. صـحـفـهم.

بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادئ الاحوال ومراتبها مفتشا عن اسباب تراجعها او تعاقبها باحثا عن المقنع فى تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله فى مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوائد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوايد ولما طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وانا المفلس احسن السوم فانشاءت فى التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا وبنيت على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب فى هذه الاعصار وملوا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال والقصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان الذان عرف بالمغرب ما وهما وطال فيه على الاحقاب

متواها حتى لا يكاد يتصور عنه (1) متواها (2) ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواها فهذبت مباحثه تهذيبا وقربته لافهام العلماء والخاصه تقريبا وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غربيا واخترته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من الاعراض الذاتية ما يمتنع بعقل الكواين واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب (الهقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالاع بمغالط الهورخين (الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنایع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب (الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم واولهم منذ مبداء الخليفة الى هذا العهد وفيه الالهام ببعض من عاصرهم من الامم الشهيرة ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنی اسرائيل والقبط ويونان والترك والروم (الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومواليهم من زناة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم لما كانت الرحلة الى

(1) Man. A. من.

(2) منشواها. Man. C.

المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الفرض (1) والسنة في مطافه ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافتت ما نقصنى من اخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيها ملكوه من الاقطار واتبعت بها ما كتبت في تلك الاسطر وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتاخيص مفتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب (2) اخبار الخليفة استيعابا وذل من الحكم النافرة صعبا واعطى لحوادث الدول عللا واسبابا واصبح للحكمة صوانا وللتاريخ جرابا ولها كان مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والوبر والالمام بهن عاصرهم من الدول الكبرى وافصح بالذكري والعبر في مبادئ الاحوال وما بعدها من الخبر (3) سبيته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم اترك شيئا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف والحوال (4) في القرون الخالية والهلال وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال منقلبة مشاعة وبدو وحضر

(1) Man. B. الفرض.

(2) Man. B. استوعبت.

(3) Man. A. الخبر.

(4) Man. B. الخول. C. الجول.

وواقع ومنتظر الا واستوعبت جهله واوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذاً بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضا في مثل هذا القضا راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضا في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل

(المقدمة) في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالاع بها يعرض للمؤرخين من الهغالط والاوهام وذكر شئ من اسبابها

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز الذهب جم الفايذة شريف العايذة (1) اذ هو يقفنا على احوال الهاضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والهلوكت في دولهم وسياستهم حتى تتم فايذة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان به عن الهزلات والهغالط لان الاخبار اذا اعتد (2) فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتباع الانسانى ولا قيس الغايب منها

(1) Man. C. الغاية.

(2) Man. B. اعتهد. C.

بالشاهد والحاضر بالذاهب فربها لم يؤمن فيها من العثور ومزلة
 القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين
 وإيمة النقل الهغالط في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على
 مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها
 باشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
 وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيدا
 الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت
 في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها
 الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودى وكثير
 من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل وان موسى عليه السلام
 احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطيق حمل السلاح خاصة
 من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون ويذهل
 في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لهتل هذا العدد
 من الجيوش فلكل مملكة من الهمالك حصة من الحامية
 تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد
 المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا
 العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها
 وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف
 يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفين وشى من
 جوانبه لا تشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالهاضى

اشبه بالآتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامة بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالك بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم اكثر من مائتي الف وعن عايشة والزهرى ان جموع رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية انها كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لآتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القايمين بها في قلتها وكثرتها حسبما يتبين في فصل الممالك من الكتاب (1) والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن قاهت بفتح الها او كسرهما بن لاوى بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو

(1) Le man. C. ajoute الاول.

اسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة والمدة بينهما على ما نقله
 السعدي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين
 اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بهصر الى ان خرجوا
 مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة يتداولهم
 ملوك القبط من الفراغة ويبعد ان يتشعب النسل في اربعة
 اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش
 انما كان في زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فبعيد ايضا اذ
 ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر اباؤه فانه سليمان بن
 داود بن ايشاي بن عويد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوغز بن
 سلمون بن نجشون بن عميناذاب ويقال حميناذاب بن رام بن
 حضرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بيرس بن يهوذا بن
 يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا
 العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربها يكون واما ان
 يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في
 الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا
 والذي ثبت في الاسرايليات ان جنود سليمان كانت اثني عشر
 الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على
 ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
 العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام كان غنوان دولتهم
 واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في

الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا
 فى الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا فى احصاء
 اموال الجبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضايح الاغنياء
 الموسرين توغّلوا فى العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساسوا
 الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن عساكرهم
 واستتبّت احوال اهل الثروة فى بضايحهم وفوايدهم واستجلبت
 عوايد المترفين فى نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك
 الا لولوع النفس بالغرابة وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن
 العقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمدا
 ولا يطالبها فى الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث
 وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم فى مراتع الكذب لسانه ويشترى
 لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك بها صفقة خاسرة
 وقد يقال ان العوايد انها تمنع من نمو الذرية الى مثل (1) هذا العدد
 فى غير بنى اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان
 فيما اوحى الى آبايهم من الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات
 الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم حتى يكائر نجوم السماء وحصى
 الارض وانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة خارقة للعادة
 فى حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد
 بالطعن على خبر ذلك وانه انها ورد فى التوراة واليهود قد

(1) Man. A. نسل.

بدلوها على ما هو معروف فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره لان العادة مانعة من اعتماد اهل الاديان ذلك فى صحفهم الالهية كما ذكره البخارى فى صحيحه فيكون هذا النمو الكثير فى بنى اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك فى غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الزحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليه حاجة واختصاص كل مملكة بعدها من الحامية صحيح وبنو اسرائيل لم يكونوا اولا حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النحو ليستولوا على ارض كنعان التى وعدهم الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادى الى الحق (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة فى اخبار التباة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب والى الترك وبلاد التبت من بلاد المشرق وان افريقس (1) بن قيس بن صيفى من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام او قبله بقليل غزا افريقية واثخن فى البربر وانه الذى سماهم بهذا الاسم حين سجع رطانتهم وقال ما هذه البريرة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من يومئذ وانه لما انصرف عن المغرب جهر هناك قبائل من حمير فاقاموا بها فاختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والسجرجانى

(1) Man. A. امرنقس. Man. B. امرنفس.

والمسعودى وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وياباه نسابة (1) البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا لادعار من ملوكهم بعد افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودونحه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية انه ملك الموصل واذربيجان ولقى الترك فهزمهم واتخن فيهم ثم غزاهم وثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزا ثلاثة من بنيه الى بلاد فارس والى بلاد الصغد من امم الترك وراى النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثانى الذى غزا الى الصغد قد سبقه اليها فاتخنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنايم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فحاصرها ودونخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصاص الهوضوعة وذلك ان ملك التبابعة انها كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من

(1) نسبة. Man. A.

الشرق وبحر السويس الهابط منه ايضا الى السويس من اعمال
 مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد
 السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس
 والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر
 الشامي قدر مرحلتين فها دونها ويبعد ان يمر بهذا
 المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير ان تصير من
 اعماله هذا ممتنع في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالقة
 وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك
 بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التابعة حاربوا احدا من
 هولاء الامم ولا ملكوا شيا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من
 اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا
 في غير اعمالهم احتاجوا الى انتساف الزروع والنعم وانتهاب
 البلاد فيما يمرّون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان
 نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله
 فلا بد وان يهروا في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودوخوها
 لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تهت بهولاء الامم
 ولا تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة فذلك ايضا ابعد واشد
 امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادي
 الرمل الذي يعجز السالك فلم يسع قط ذكره في المغرب
 على كثرة سالكه ومن نفص طرقة من الركاب والغزى في كل

عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة ما تنوقر الدواي على نقله واما غزوه بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسلك السويس الا ان الشقة هنا ابعد وامم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط ان التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يجارون اهل فارس على حدود ارض العراق وبلاد العرب ما بين البحرين والحيرة الهتاخمة بينها في الاعمال وقد وقع ذلك بين ذى الازعار منهم وكيقاوس من ملوك الكينية وبين تبع الاصغر ابو كرب ويستاسب منهم ايضا ومع ملوك الطوايف بعد الكينية والساسانية من بعدهم فمجاورة التبابعة ارض فارس بالغزو الى بلاد الترك والتبت ستهنع عادة من اجل الامم المعترضة دونهم والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالاحبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق ان تبعا الآخر سار الى المشرق مجول على العراق وبلاد فارس واما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهن اليها بوجه بما تقرر فلا تثقن بها يلقي اليك من ذلك وتامل الاحبار واعرضها على القوانيين الصحيحة يقع لك تمحيصها باحسن وجه والله الهادى الى الصواب (فصل) واعد من ذلك واعرق منه فى الوهم ما يتناقله اليفسرون فى تفسير سورة الفجر عند قوله تعالى الم تركيف فعل

ربك بعاد ارم ذات العماد يجعلون لفتة ارم اسما لمدينة
وصفت بانها ذات العماد اى الاساطين وينقلون انه كان لعاد
ابن عوض بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك
شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف
الجنة فقال لابن ميثم مثله فبنى مدينة فى صحارى عدن فى ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا ذكر ذلك الطبرى والثعالبي والزمخشري وغيرهم من
المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج
فى طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره
الى معوية فاحضره وقص عليه فبعث الى كعب الاحبار وساله عن
ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وفى عنقه خال
يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله
هذا ذلك الرجل انتهى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من
يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها
بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانها متعاقبا والركاب
والادلاء تنفض طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر

ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست
 فيما درس من الآثار لكان أشبه الآ ان ظاهر كلامهم انها موجودة
 وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي
 الهذيان ببعضهم الى انها غايبة عن الحس وإنما يعثر عليها اهل
 الرياضة والسحرة مزاعم كلها شبيهة بالخرافات والذي حمل
 المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظ ذات
 العماد من انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين يتعين ان
 يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه
 بالاقاصيص الموضوعة واقرب لتفسير (I) سيفوية النقولة في عداد
 المضحكات والآ فالعماد هي عماد الخيام وان اريد بها الاساطين
 فلا بدع بوصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر
 من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما
 في قراءة ابن الزبير فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول
 قريش كنانة والياس مضر وربيعه نزار من غير ضرورة الى هذا
 المحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه امثال هذه الحكايات الواهية
 التي تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (ومن الحكايات
 المدخولة للمؤرخين) ما ينقلونه كافة عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة
 من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة وانه

(I) Man. A. للتفسير.

لكفده بكانها من معارته اياها الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وان العباسية تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها في حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشييد فاستغضب وهيات ذلك من منصب العباسية في دينها وابوتها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماؤا الملة من بعده العباسية بنت محمد المهدي بن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن على ابي الخلفاء بن عبد الله ترجمان القران بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بنت خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملايكة من ساير جهاتها قريبة عهد ببداوة العربية وسداجة الدين البعيدة من عوايد الترف ومراتع الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين توجد الطهارة والزكاء اذا فقد من بيتها وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بهولى من موالى العجم تملك جده من الفرس مولاة (1) جدها من عمومته الرسول واشراف قريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه وضبع ابيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل التشريف وكيف يسوغ

(1) او تولها. Man. C.

من الرشيد ان يصهر الى موالى العجم على بعد همته وعظم آبايه
ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة
ملك من اعظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى
من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكرة ولج (1) فى
تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة
ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية حتى
كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره
وشركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى امور ملكه
فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها
بالروساء من ولدهم وصنایعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة
وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين
صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة
بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من
كفالة هارون ولى عهد وخليفة حتى شت فى حجره ودرج
من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابنتى فتوجه الايثار
من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم
وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت
عليهم الآمال وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك

(1) Man. A. لجا.

وتحف الامراء وتسربت الى خزائهم في سبيل التزلف
والاستهالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظها
القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا (1) من بيوتات الاشراف
المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا
لعفانهم الجوايز والصلوات واستولوا على القرى والضياع من
الضواحي والامصار في ساير الممالك حتى اسفوا البطانة
واجقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه
المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب
السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة (2) احوال جعفر من اعظم
الساعين عليهم لم تعطفهم لها وقر في نفوسهم من الحسد
عواطف الرحم ولا وزعتهم اوامر القرابة وقارن تلك عند
مخدومهم نواشى (3) الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن
الحقود (4) التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار
على شانهم الى كبار المخالفة كقتتهم في يحيى بن عبد
الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي
محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على الهنصور
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد
الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل الف الف درهم على

(1) Man. B. كيسوا.

(3) Man. A. مواشى.

(2) Man. B. قحطينة.

(4) Man. A. الحقود.

ما ذكره الطبرى ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره
 - والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله
 والاستبداد بحل عقاله حرصا لدماء اهل البيت بزعمه ودالة
 على السلطان فى حكمه وساله الرشيد عنه لما وشى به
 عليه فظن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها فى
 نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل
 عرشهم واكفيت عليهم سماوهم ونخسفت الارض بهم وبدارهم
 وذهبت سلفا ومثلا للاخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم
 واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممهد
 الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد الله فى مفاوضة الرشيد عم
 جدّه داوود بن على فى شأن نكبتهم وما ذكره فى باب
 الشعراء من كتاب العقد فى محاوراة الاصمعى للرشيد وللفضل
 بن يحيى فى سمرهم تتفهم انه اتما قتلهم الغيرة والهنافسة
 فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
 اعداؤهم (1) من البطانة فيها دسوة للمغنيين من الشعراء احتيالا
 على اسماعه للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله
 ليت هند انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
 واستبدت مرة واحسدة انها العاجز من لا يستبد
 وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بعثوا بامثال

(1) Man. A. et B. اعدادهم.

هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما تموه به الحكاية من معايرة الرشيد الخمر واقتران سكرة بسكر الندمان فحاشا (1) لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بها يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان وبكايه من مواعظهم ودعايه بهكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح باول (2) وقتها حتى الطبرى وغيره انه كان يصلى كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكة سهره حين تعرض له بهتل ذلك فى الصلاة لها سمعه يقرأ وما لى لا اعبد الذى فطرنى قال والله لا ادرى لم فما تمالك (3) الرشيد ان ضحك ثم التفت مغضبا وقال يا بن ابي مريم فى الصلاة ايضا اياك اياك والقران والدين ولك ما شئت بعدها وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب (4) عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه ابي جعفر بعيد زمن آتما خلفه غلاما وقد كان

(1) Man. B. حاشى لله . C. حاشى .

(3) Man. A. تهلك .

(2) Cod. B. لاول .

(4) Man. A. بقرب .

ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لهالك حين اشار عليه بتأليف الهوطا يا ابا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك وانني قد شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطيه للناس توطية فقال مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه الهدى ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطيين فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف الهدى من ذلك وقال يا امير المؤمنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا من عطآى فقال لك ذلك ولم يصدده عنه ولا سمح بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته وما ربي عليه من امثال هذه السير فى اهل بيته والتخلق (1) بها ان يعاقر فى الخمر او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم (2) وكان شربها مذمة عند الكبير منهم والرشيد وآبأوه كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم والتخلق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبرى :

(1) Man. A. التخلق.

(2) Man. A. شجرتهم.

والمسعودى فى قصة جبرئيل بن بختيشوع الطيب حين احضر له السمك فى مايدته فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصبّ على الثانية ماءً مثلجا وعلى الثالثة خمرا صرفا وقال فى الاول والثانى هذا طعام امير الهومنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام بختيشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضر للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدا وتغيّرت رايحتها فكانت له فى ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابى نواس ليا بلغه من انهماكه فى العاقرة (1) حتى تاب واقلع وانها كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من العنب فلا سبيل الى اتهامه بها ولا تقليد الاحبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة

(1) Cod. A. المسافرة.

من خنت السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وساير
متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين
التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى
الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المورخون الطبرى
والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بنى
امية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من
الفضة فى الهناتق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة
احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن
الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا فى ملابسهم فما
ظنك فى مشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت
طبيعة الدولة فى اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح فى
مسايل الكتاب الاول ان شاء الله تعالى (ويناسب هذا) او
قريبا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون
وصاحبه وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه
فدفن فى الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدى وامير الناس كلهم قد جارفى حكمه من كان يسقيني
انى غفلت عن الساقى فصيرنى كما ترانى سلب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد وشرايبهم
انما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من
شانهم وصحابته للمامون انما كانت خلة فى الدين ولقد ثبت

انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام يتجسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكرم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحبي بن اكرم كان من اهل الحديث وقد اتنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذى في كتابه الجامع ذكر الحافظ المزنى ان البخارى روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم (1) وكذلك ينزّه المتجان بالميل الى الغلمان بهتاناً على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسداً في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً (2) عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكاراً شديداً واتنى عليه وقيل لاسمعيل مما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان نزول عدالة مثله لتكذيب باغ وحاسد وقال يحيى بن اكرم ابرأ الى الله من ان يكون فيه شئ مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اقف على سرايرة فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمى بها روى به وذكره ابن حبان في

(1) Man. A. جميعه.

(2) Man. B. ينزّه. A. نبذه.

الثقات وقال لا تشتغل (1) بما يحكى عنه لان اكثرها لا تصح عنه (ومن امثال) هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل فى سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل فى بنته بوران وانه عثر فى بعض الليالى فى تطوافه (2) بسكك بغداد بزنبيل مدلى (3) من بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من التحرير فاقته وتناول المعلق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنصيد ابنته (4) وجمال روايه ما يستوقف الطرف ويملك النفس (5) وان امرأة برزت من خلل الستور فى ذلك المجلس رايعة الجمال فتانة المحاسن فحيتته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه الى الاصهار الى ابيها واين هذا كله من حال المامون المعروفة فى دينه وعلمه واقتفايه سنن الخلفاء الراشدين من ابايه واخذة بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله فى صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المشتهرين (6) فى التطواف بالليل وطروق

(1) Man. A. et B. يشتغل

(4) Man. C. ابنته.

(2) Man. A. تطوفه.

(5) Man. A. النفوس.

(3) Man. A. يدل.

(6) Man. C. المشتهرين. Je lis.

المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب وايسن ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار ابيها من الصون والغفأ وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المورخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المروءة وبتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون باشباه هذه الاخبار وينقرون (1) عنها عند تصقحهم لاوراق الدواوين ولو ائتسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون (ولقد) عدلت يوما بعض الامراء من اولاد الملوك في كلفه بتعلم الغنا وولوعه بالاوتار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا (2) تأسيت بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم عن عدلى واعرض (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من المورخين في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام بن جعفر

(1) Man. A et B. يقرون.

(2) Man. A. هل.

الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لقتت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفتنا في الشمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبداء دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويبه على عبيد الله المهدي وابنه ابي القاسم خشيا على انفسها فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا ببصر وانهما خرجا من الاسكندرية في زى التجار واما خبرهما الى عيسى النوشزى عامل مصر والاسكندرية فسر (1) فى طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى فافلتوا الى المغرب وان المعتضد اوغر الى الاغالبة امراء افريقية بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الآفاق عليها واذكاء العيون فى طلبهما فعثر اليسع صاحب سجلماسة من آل مدرار على خفى مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم

(1) Man. A. فخرج.

بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في الهالك شق الابلية وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفا بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا كرتيا وما زال بنو العباس يغصون بركانهم ودولتهم وملوك بنى امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى بالنسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذا كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوتهم وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

فيها تكن عند امره من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاة ومواطن الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الهلايكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من الصاغية اليهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل ابن جعفر الصادق وقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعيين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من عقبهم يزعمون استحقاتهم للخلافة

ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن (1) سلف قبلهم من الايمة ولو ارتابوا في نسبهم لها ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشتهه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضى ابى بكر الباقلانى شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة الهرجوحة ويرى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك لها كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعق في الرافضة فليس ذلك بدافع (2) في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيا في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمى فلن اغنى عنك من الله شيا ومتى عرف امره قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعهم وانتشارهم في القاصية بدعتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل فلو سئل الايام ما اسى مادرت واين مكانى ما عرفن مكانى

(1) Man. A. فمن.

(2) Man. A. يدافع

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جدّ عبيد الله المهدي بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم لبا اتفقوا عليه من اخفايه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الراي الفايل الى الهستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدرى والصيمرى وابن الاكفانى والاببيوردى وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ثنتين واربعماية في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه (1) والحق من ورايه وفي كتاب المعتضد في شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة

(1) Man. A. دعوة.

أصدق شاهد وأوضح دليل على صحّة نسبهم فالمعتضد أقعد
بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم
يجلب إليه بضائع العلوم والصنایع وتلتبس فيه ضوأل الحكم
وتحدى إليه ركائب الروایات والأخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والأفس
والسفسفة وسلكت النهج الأمّ ولم تجر عن قصد السبیل
نفق (1) في سوقها الأبريز الخالص واللجين الصافي (2) وان
ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسة البغي والباطل
نفق البهرج والزاييف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه
وملتمسه (ومثل هذا) وأبعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون
في نسب أدريس بن أدريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين الأمام
بعد أبيه بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحسد (3)
بالتظنن (4) في الحمل المخلف عن أدريس الأكبر انه لراشد
مولاهم قبحهم الله وأبعدهم ما أجهلهم اما (5) يعلمون ان أدريس
الأكبر كان أصهارة في البربر وانه مذ دخل المغرب الى
ان توفاه الله عزّ وجل عربق في البدو وان حال البادية في

(1) Man. A. لفق.

(4) Man. A. بالتظنين.

(2) Man. B. et C. المصفى

(5) Man. A. أنها.

(3) J'ai lu الحسد au lieu de الحد.

كل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأتى فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بمراءى من جاراتهم ومسمع من حيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل بين المساكن (1) وقد كان راشد يتولى (2) خدمة الحرم اجمع من بعد مولاة بمشهد من اوليايهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيه وآتوه طاعتهم عن رضى واصفاق وبايعوه على الجوت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا فى حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس اقتالهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر (3) ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فح اوغر الهادى الى الاغالبة ان يقعدوا له بالهرصاد (4) ويذكوا (5) عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم (6) امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من

(1) Man. المساكن.

(2) Man. A. يقول.

(3) Je lis قر au lieu de فر.

(4) Man. C. المرصد.

(5) Man. B. يذكروا.

(6) Man. B. فنها.

دسيسة الشيع للعلوية وادهانه في نجاة (1) ادريس الى المغرب
فقتله ودس الشماخ من موالى ابيه للتحيل (2) على قتل
ادريس فظهر اللحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض
خلواته سما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس
احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم يتاد اليهم خبر الحمل المخلف
لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعه
بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهرم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن
منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية
المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلاكه بالسموم
فعند ذلك فزعوا الى اولياهم من الاغالبه بافريقية في سد
تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من
قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم يخاطبهم
بدلك البامون ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغالبه من برابرة
المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزيون على ملوكهم احوج
لها طرق الخلافة من انتراء الهمايك العجم على سدتها

(1) Man. B. نجاة.

(2) Man. B. للتحيل.

وامتطاهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
في رجالها وجبايتها واهل خطتها وساير نقضها وابرامها كما
قال شاعر عصرهم

خليفة في ققص بين وصيف وبعثا يقول ما قال له كما تقول البيغا

فخشي هولاء الامراء الاغالبية بوادر السعايات وتلّوا بالمعاذير
فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزة
حدود التخوم من عمله وينفذون (1) سكتة في تحفهم وهداياهم
ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته
وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه تهديدا بقلب الدعوة
ان الجيوا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده
المسافة وافن عقول من خلف من صبية بنى العباس
ومهالكهم العجم في القبول من كل قاييل والتسمع لكل ناعق
ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبية فقرعت هذه
الكلمة الشنعاء اسماع الغوغا وصرّ عليها بعض الطاعنين (2) اذنه
واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم
الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض فيها بين المقطوع
روالمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان

(1) Man. C. ينقدون.

(2) Man. B. الطاغين et C. الطاغيين

تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه
قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر
من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القران ومن اعتقد خلاف
هذا فقد باء بائنه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا
الرد سدا لابواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته
اذناى (1) من قايله المعتد عليهم به القادح في نسبهم
بقريته (2) وينقله بزعمه عن بعض مورخى (3) المغرب ممن
انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا
فالمحل منزّه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث
يسحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم في الحيوة الدنيا
وارجو ان يجادلوا عنى يوم القيامة (وليعلم) ان اكثر الطاعين في
نسبهم انما هم الحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتهم الى
اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب دعوى
شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الآفاق فتعرض التهمة فيه
ولما كان نسب بنى ادريس هولاء بمواطنهم من فاس وسائر بلاد
المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح (4) مبلغا لا يكاد يلاحق
ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف
عن الامة والجيل من السلف وببيت جدّهم ادريس مختطاً

(1) Man. A. اذنى.

(3) Man. A. مورخ.

(2) Man. B. بقريته.

(4) Man. A. et B. الرضوع.

فاس وموتسساها بين بيوتهم ومسجده لصق محلثهم ودروبهم (1) وسيفه منتضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التى جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدّ احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتميين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون فى انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وودّ كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفايل والقول المكذوب تعللا بالمساواة فى الظنة والمشابهة فى تطرق الاحتمال وهيهات لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرآوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى ابن محمد بن يحيى المعدام ابن القاسم بن ادريس بن

(1) دورهم. Man. B.

ادريس وهم بقايا اهل البيت هنالك والساكنون ببیت
جدهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله وهم بنو عمران بن محمد
ابن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الجوطى والنقيب لهذا
العهد منهم محمد بن علي (1) بن محمد بن عمران
(ويلاحظ) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناوله
ضعفة الراى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدي
صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه
من القيام بالتوحيد الحق والنعي على اهل البغى قبله (2)
وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك حتى فيما يزعم
الموحدون اتباعه انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء
على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسده على شأنه
فانهم لما (3) راوا من انفسهم مناهضته فى العلم والفتيا وفى
الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى مسهوع القول
موطوء العقب نفسوا ذلك عليه وعضوا (4) منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لهدياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدايه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لها كانوا عليه من

(1) Man. A. محمد.

(2) Man. A. مله.

(3) Man. B. دلوا.

(4) Man. A. et B. عضوا. Jel is.

السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة (1) العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل فى بلده (2) وعلى قدرة فى قومه واصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناسبة لهم تشييعا للمتونة وبغضا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله (3) غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاوهم فنادى فى قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاتلعت الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز (4) انصارا وحامية وتساقطت فى ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الهوت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله باتلاف مهجهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ عن الحظ والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى رثها تجنح اليه النفوس ويخادع عن تميئه فليت شعري ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من

(1) Man. C. بحملة.

(3) Man. C. على.

(2) Man. B. فى كل بلدة.

(4) Man. A et B. اغز.

الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم
امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده
وأما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعضده حجة لهم مع
ان (1) ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه
لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان الرياسة لا
تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح
حسبها ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد
رأس ساير المصامدة وادانوا (2) باتباعه والانقياد اليه والى عصابته
من هرغه حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب
الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس
لنسبه (3) وانما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية
ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها (4) وكان ذلك النسب
الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند (5)
عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كانه انساخ منه
ولبس جلدة هولاء وظهر (6) فيها فلا يضره الانتساب الاول في
عصبيته اذ هو مجهول (7) عند اهل العصابة ومثل هذا وقع
كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفجة (8)

(1) Le M. A. omet. Man. G. مع انه يثبت ان.

(2) Man A. et B. ادانوا.

(6) Man. C. طرر.

(3) Man. C. بسببه.

(7) Man. B. مجهول.

(4) Man. A. منها.

(8) Man. B. عرفجة.

وجرير في رياسة بجيلة (1) وكيف كان عرفة من الازد
ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر
رضي الله عنه كما هو مذكور تفهّم منه وجه الحق والله
الهادي الى الصواب (وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب
بالاطناب في هذه الهغالط فقد زلت اقدام كثير من الاتبات
والمورخين الحفاط في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت
بافكارهم ولقنها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن
القياس ولقنوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية (2)
واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظره مرتبكا وعدّ من مناحي العامة فاذن يحتاج صاحب
هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الموجودات واختلاف
الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوايد والنحل
والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك
ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول
الدول والهلل ومبادئ ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها
واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبرة
المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى

(1) Man. A. بجيلة.

(2) Man. A. روية.

على مقتضاها كان صحيحا ولا زيفه واستغنى عنه وما استكبر
القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبرى والبخارى
وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل (1)
الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخف
العوام ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والنخوض
فيه والتطفل عليه فاختلف المرعى بالهمل واللباب بالقشر
والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط الخفى
فى التاريخ) الذهول عن تبدل الاحوال فى الامم والاجيال
بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى وشديد الخفاء اذ
لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من
اهل الخليقة وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم
لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على
الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
والاقطار والازمنة والدول ستة الله التى قد خلت فى عبادة
وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنسبط
والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم فى
دولهم وممالكهم وسياستهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
وساير مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمادهم للعالم

(1) Man. A. et B. دخل.

تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب والفرجة فتبدلت تلك (1) الاحوال وانقلبت بها العوايد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مصر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلاباً اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذة الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب واياهم وذهب الاسلاف الذين شيّدوا عزمهم (1) ومهدوا ملكهم وصار الامر في ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والافرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوايد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشائع في تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه كما يقال في الامثال الحكيمية الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان ينزعوا الى عوايد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوايد جيلهم مع ذلك فيقع في عوايد الدولة بعض المخالفة لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشئ وكانت للاولى اشدّ مخالفة ثم لا يزال التدرّج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال

(1) Man. A. كل.

(2) Man. A. عزمهم.

تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مامونة تخرجه مع الذهول والغلط عن قصده وتعوج به عن مراده (1) فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة مع ما عرف وبقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما ينقله المورخون من احوال الحجاج وان اباة كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنایع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية (2) والمعلم مستضعف مستكين منقطع الجذم (3) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنایع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنایع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون

(1) Man. B. الامر اللد.

(2) Man. A. العصبية.

(3) Man. B. الخدم.

كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على
الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه قتلوا
واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون (1) على تعليم
ذلك وتفهمه للامة لاتصدهم عنه لايمة الكبر ولايزعهم (2)
عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم
كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما
جاء به من شرايع الدين بعث فى ذلك من اصحابه
العشرة (3) فمن بعدهم فلها استقر الاسلام ووشجت عروق
الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت
بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
لتعدد الوقايع وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا
وصار العلم ملكة تحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنایع
والحرف كما ياتى ذكره فى فصل العلم والتعليم واشتغل
اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام
بد من سواهم واصبح حرفة الهعاش وشمخت (4) انوف
المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك

(1) Man. A. فيصرون.

(3) Man. B. الغرة.

(2) Man. A. et B. يزعمهم; man. C. يزعمهم.

(4) Man. A. سخة.

والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف وأشرافهم
ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما
عليه (1) ولم يكن تعليقه للقران على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من
الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ما يتوهمه المتصفحون
لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من
الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس
الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة
القضا لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن
ابي عامر حاجب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشبيلية اذا سمعوا ان آباهم كانوا قضاة انهم مثل
القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضا من
مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول
وابن ابي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القايمين
بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة
القضا كما هي لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر
القديم لاهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي
الوزارة لعهدنا بالغرب وانظر خروجهم بالعساكر في

(1) Le mau. A. ajoute ما.

الصوايف وتقليدهم عظيم الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنا فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال الى غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ اعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئموا للمذلة (1) يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون بها الغلب والتحكّم فتجد اهل الحرف منهم والصنایع متصدّين لذلك ساعين في نيله فاما (2) من باشر احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقل ما يغلطون في ذلك او (3) يخطيئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المورّخون عند ذكر الدول ونسق ملوكهم فيذكرون اسمه ونسبه واهله واباه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليدا لمورّخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمورّخون لذلك العهد كانوا يضعون (4) تواريخهم لاهل

(1) Man. B. للمزلة.

(3) Man. A. ام.

(2) Man. A. فيها.

(4) Man. B. يصنعون.

الدولة وابناوهم متشوقون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم
ليقتنوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال
من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنایعهم
وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصابة الدولة في عداد
الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله
واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف
الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول
بعضها من بعض في قوتها وغلبها ومن كان يناهضها من
الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف لهذا العهد في ذكر
الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب
من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم
انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين
الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم
الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم
كالهجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وكافور الاحشيدي وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير الالهاع
بايامهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك
(ولندكر) هنا فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان
التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر
الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمورخ يتبنا

عليه اكثر مقاصده ويتبين به اخباره وقد كان الناس يفرّدونه (1) بالتأليف كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والآفاق لعهدده فى عصر الشذائين والثلاثماية غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك فى المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو آخر الماية الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب التى نحن شاهدها وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهله على القديم بمن طراء فيه من لدن الماية الخامسة من اجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم انتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فى شئ (2) من البلدان لميلكتهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه الماية الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيى الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران وسحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلغ الغاية

(1) Man. A. يفرّضونه.

(2) Man. C. فيها بقى من.

من مداها فقلص من ظلالها وفل (1) من حدها وأوهى (2) من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن (3) وكأني (4) بالمشرق وقد نزل به ما قد نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكانما نادى لسان الكون في لعالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها (واذا) تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكأته خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوايد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفو مسلك السعودى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من ياتى من المورخين من بعده (وانا) ذاكر في كتابى هذا ما امكنى منه في هذا القطر المغربى اما صريحا او مندرجا في اخباره وتلويحا لاختصاص قصدى في التاليف بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعى على احوال المشرق واممه لان الاخبار المتناقلة لا توفى كنه

(1) Man. A. et B. قل.

(2) Man. C. اوهن.

(3) Man. B. المساكن.

(4) Man. A. كان.

ما اريده منه والمسعودى انما استوفى ذلك لبعده رحلته
وتقلبه فى البلاد كما ذكره فى كتابه مع انه لما ذكر
المغرب قصر فى استيفاء احواله وفوق كل ذى علم عليم
ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين
واجب ومن كان الله فى عونته تيسرت عليه المذاهب
وانجحت له المساعى والمطالب ونحن آخذون بعون الله
فيما (1) رمناه من اغراض التأليف والله المستد والمعين وعليه
التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدّم مقدّمة فى كيفة وضع
الحروف التى ليست من لغة العرب اذا عرضت فى كتابنا
هذا (واعلم) ان الحروف فى النطق كما ياتى شرحه بعد
هى كيفيات للاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من
تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
والحنك والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغير كيفيات
الاصوات بتغير ذلك القرع وتجى الحروف متمايزة فى
السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضماير
وليست الام كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف (2)
فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى
والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا
كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست فى لغتنا وفى

(1) Man. A. فها.

(2) Man. A. الحرف.

لغتنا ايضا حروفا ليست فى لغتهم وكذلك الافرنج
والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب
من العرب اصطاحوا فى الدلالة على حروفهم الهمسوعة
باوضاع حروف (1) مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف
وباء وحيم وراء وطا الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم
الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهلا عن
الدلالة الكتابية (2) مغفلا عن البيان وربما يرسده بعض
الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه (3) من لغتنا قبله او
بعده وليس ذلك بكاف فى الدلالة بل هو تغيير (4)
للحرف من اصله (ولها) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى اسمائهم او بعض كلماتهم
حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا
الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطاحت فى كتابى
هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على
الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارى بالنطق به بين
مخرجى ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانها اقتبست
ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى

(1) Man. A. حرف.

(3) Man. B. يكتنفهم Man. C. يكشفه.

(2) Man. A. et B. الكتابة.

(4) Man. A. تغير.

قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مفخم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسوها في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك (1) رسمت انا كل حرف بتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم مثل اسم بُلْكِين فاضعها كفا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارى انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه و لو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكننا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق لا رب غيره

(1) Man. A. لذلك. Man. B. ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وأله وصحبه وسلّم تسليماً

الكتاب الاول فى طبيعه العمران فى الخليقة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانسانى الذى هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس
والعصبية واصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله
البشر باعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسایر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيه (فنها) التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال فى قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص (1)
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراى
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(1) التخصيص. Man. B.

الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد وتمحيص
فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية
للکذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك
يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن المقاصد
فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل
الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها)
توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة
بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل
ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي
بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر
لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال
واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة
فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها
من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل
لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا
وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في
العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان (3) او فعلا
لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

(2) Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخص له. Man. B. تخص.

احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودى عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفى باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التى راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعابنتها وتم له بناوة فى حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواج بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفى ذلك تلافه لا ينتظرون (1) به رجوع بن غرة ذلك طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هى قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قاذحة فى تلك الحكاية والقادح المحيل (2) لها

(1) Man. C. ينظرون.

(2) Man. A. المحيد.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس فى الماء ولو كان فى الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعى ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الربة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب فى هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين فى الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتداخلها فان الهتدلى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه فى تعديل ريته اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهواء الذى خرج اليه حار فيستولى الحر على روحه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودى ايضا فى تمثال الزرزور الذى برومة تجتمع اليه الزرازير فى يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعث ذلك عن المجرا الطبيعى فى اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى فى بناء المدينة المسهاة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والهدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتى وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم (كما) نقله المسعودى ايضا فى حديث

مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحراء سجلماسة
 طرقها موسى ابن نصير في غزايه الى المغرب وانها مغلقة
 الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على
 الحايط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث
 مستحيل من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفصها
 الركاب والادلاء ولم يقفوا على هذه المدينة لخبر ثم ان هذه
 الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور
 الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود
 منها ان يصرف في الآنية والخرثى واما تشييد مدينة منها
 فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه
 انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في
 تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على
 التمحيص بتعديل الرواة (1) ولا يرجع الى تعديل الرواة (2) حتى
 نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او مهتنع واما اذا كان
 مستحيلا فلا فائدة في النظر في التعديل او التجريح (3)
 ولقد عدّ اهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ او تاويله ان يوؤل بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل
 والتجريح (4) هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها

(1) Man. A. et D. الرواية.

(3) Man. A. الترجيح.

(2) Man. A. et B. الرواية.

(4) Man. A. التجريح.

تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواية للعدالة والصبط وأما الاخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ننظر (1) في امكان وقوعه وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فايذة الانشاء مقتبسة منه فقط وفايدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة اذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبهقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق والكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شئ من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان لنا ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا

(1) Man. B. تنظر. Man. C. ينظر.

شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً (واعلم) ان الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير (1) الفايذة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة (2) الذى هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة فى استمالة الجمهور الى رأى او صدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هى تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (3) فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفيين الذين رتبها يشبهانه وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام فى منجاء ل احد من الخليفة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلمهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيرة والحكماء فى امم النوع الانسانى متعددون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس الذى امر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح واين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها واين علوم القبط من قبلهم وانما وصل الينا علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكلف الهامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك

(1) Man. A. et B. عزيز.

(2) Man. الحكاية.

(3) Man. B. بناؤه.

لكثرة المترجمين وبذل الاموال (1) فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة (2) طبيعية يصلح (3) ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالشهرات (4) وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط واذا كانت مسايله في ذاتها وباختصاصاتها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله تعالى اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا) الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسايل تجرى بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسايله بالموضوع والمطلب مثل ما يذكره الحكماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثلما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة (5) التعاون والاجتماع وشاءن العبارات احق ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع والقتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم موذن بخراب العمران

(1) Man. A. اموالا. (2) Man. A. B. D. متعلقة. (3) Man. B. بحيث.

(4) Man. A. في الثمرات.

(5) Man. A. et B. طبيعية.

المقتضى فساد النوع وغير ذلك من ساير المقاصد الشرعية في الاحكام وانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المثلثة وكذلك ايضا يقع اليها القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكام الخليفة لكنهم لم يستوفوه (1) (فمن كلام الموبدان) لبهرام ابن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل الى العمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنسوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قيا وهو الهلك (ومن كلام انوشروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح الاعمال واصلاح الاعمال باستقامة الوزراء وراعى الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها. (2) حتى يملكها ولا تملكه وفي الكتاب المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك

(1) Man. A. يستوفوا.

(2) Man. C. تاديبها.

الكتاب إلى هذه الكليات (1) التي نقلناها عن الموبدان
وانوشروان وجعلها في الدائرة الغربية التي اعظم القول فيها
وهي قوله العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحى به
السنة والسنة سياسة يسوسها (2) الملك (3) الهلك
نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق
تجمعه الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل مألوف وبه
قوام العالم العالم بستان ثم يرجع الى اول الكلام
فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت
اعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها
فخر بعثوره عليها وعظم من فوايدها وانت اذا تأملت كلامنا
في فصل الملك والدول واعطيته حقه من التصفح والتفهم
عشرت في اثنائه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها
مستوفى مبينا باوعب بيان ووضح دليل وبرهان اطلعنا الله
عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة (4) الموبدان وكذلك
نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر
السياسات الكثير (5) من مسایل كتابنا هذا غير مبرهنة كما
برهناه انما يجلبها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب
الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حوم (6) القاضي ابو بكر

(1) Man. B. الكلمات.

(4) Man. B. فائدة.

(2) Man. B. يسومها.

(5) Man. A. et B. الكثيرة.

(3) Man. D. الامام راع الامام.

(6) Man. D. جنم.

الطوطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوّبه على ابواب
تقرب من ابواب كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه
الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح
الادلة انما يبوّب الباب للمسئلة ثم يستكثر الاحاديث والآثار
وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والهوبذان
وحكماء الهند والماتور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر
الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكاته حوم
على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق (1) قصده ولا استوفى
مسايله ونحن الهنا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنایع انظاره وانحاء فتوفيق من الله
وهداية وان فاتنى شى فى احصايه واشتبهت بغيره مسايله
فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل انى نهجت له السبيل
واوضحت الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (ونحن) الآن
نبين فى هذا الكتاب ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من
احوال العمران فى الهلك والكسب والعلوم والصنایع بوجوه
برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامّة
وتدفع بها الاوهام وترتفع الشكوك (ونقول) لها كان الانسان

(1) تحقيق Man. B.

متميزا عن ساير الحيوانات بخواص اختص بها ففنها العلوم والصنایع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز (1) به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامى لا بفكر وروية ومنها السعى فى المعاش والاعتمال فى تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء فى حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل فى مصر او حلة للانس بالعشرة واقتضاء الحاجات لها فى طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويتا وهو الذى يكون فى الضواحي والجبال وفى الحلال المنتجة للقفار واطراف الرمال ومنه ما يكون حضريتا وهو الذى بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله فى كل هذه الاحوال امور تحدث من حيث الاجتماع عروضاً ذاتياً له فلاجرم انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة فصول (الاول) فى العمران البشرى

(1) Man. A. et B. يتميز.

على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (الثانى) فى العمران
البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (الثالث) فى الدول
والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) فى
العمران الحضرى والبلدان والامصار (الخامس) فى الصنایع
والعاش والكسب ووجوهه (السادس) فى العلوم واكتسابها
وتعلمها وقدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما
يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار
واما تقديم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم (1)
العلم كمالى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت
الصنایع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث
العمران كما يتبين بعد والله الموفق

الفصل الاول من الكتاب الاول فى العمران البشرى على
الجملة وفيه مقدمات

(الاولى) فى ان الاجتماع للانسان ضرورى ويعبر الحكماء عن
هذا بقولهم الانسان مدنى بالطبع اى لا بد له من الاجتماع
الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران بيانه ان

(1) Man. A. et B. تعليم.

الله سبحانه خلق الانسان وربّه على صورة لا تصحّ حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآت لا تتم الا بصناعات متعدّدة من حداد ونجار وفخار هب انه ياكله (1) حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخر (2) اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذى يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعدّدة وصنایع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه لتحصيل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا فى الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع (3) الحيوانية كلها وقسم القدر بينها (4)

(1) Man. B. ياكل.

(3) Man. A. et C. الطبايع.

(2) Man. C. اخرى.

(4) Ce mot manque dans les man. A. et B.

جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهية للصنایع بخدمة الفكر والصنایع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في ساير الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للدفاع لكثرتها وكثرة الصنایع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركب الله عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله (1)

(1) Man. A. et C. يعالجه.

الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتهاع ضرورى للنوع الانسانى وآلا لم يكمل وجودهم (1) وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم وهذا هو معنى العمران الذى جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع فى فقه الذى هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر فى الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع فى ذلك العلم فليس ايضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلته (ثم) ان هذا الاجتهاع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لها فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية فى دفع العدوان بينهم لانتها موجوده لجميعهم فلا بد من شئ اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهوماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو

(1) Man. A. وجوده.

معنى الملك وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للانسان
طبيعية لا بدّ لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات العجم
على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها
من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم
في خلقه وجثمانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بهتضى
الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ
خلقته ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقليّ وانها خاصة طبيعية
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بدّ للبشر من
الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون
بشرع مفروض من عند الله ياتى به واحد من البشر يكون
متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم
له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار
ولا تشريب وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما ترى (1) اذ
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه
الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقندر بها على قهرهم
وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر
اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول (2) والآثار

(1) Man. B. et C. ترا.

(2) Man. B. الدولة.

فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع البتة فانه ممتع وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض كرى وانها محفوفة بعصر الماء كاتها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان قيل فى شئ منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه وهذا (1) الذى انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من

(1) Man. A. هو.

Томъ XVI. — 1^{re} Partie.

سطح كرتها في شكل دائرة احاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود (ثم) ان هذا المنكشف من الارض للعران فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى جانب الشمال على شكل سطح كرتي ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرتي وراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري التي بينها سدّ ياجوج وماجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة (١) او اقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط في كرتها كما ان منطقة البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلثماية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع في ثلاثة

(١) Man. A. الكرى.

اميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة يلحق بعضها الى بعض ظهراً لبطن وبين دايرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى (ثم) ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها السبع الاقاليم بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عهرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدأ في خليج

متضايق في عرض اثني (1) عشر ميلا او نحوها ما بين
طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسخ الى
عرض ستهاية ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم
الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخا من مبداهه وعليه
هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل
المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى
الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة
ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق
قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة
عامرة كبارها مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية
ودانية (1) قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران اخران من
خليجين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدان هذا البحر متضايقا
في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة مجار فيتصل بالقسطنطينية
ثم ينفسخ في عرض اربعة اميال ويمر في جريه ستين ميلا
ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة
اميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في
مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هريقلية وينتهي الى
بلاد الخزرية على الف وثلاثماية ميل من فوهته وعليه من
الجانبين امم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

(1) Man. A. et C. اثنا.

(1) Ce mot est omis dans le man. B.

الثانى من خليج هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى شنت انجل انحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهى الى بلاد انكلابة على الف ومائة ميل من مبدايه وعلى ضفتيه من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمتد الى الجنوب قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبدايه ويسمى البحر الصينى والهندي والحبشى وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس فى شعرة وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدايه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليبين من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشى بحران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبداء متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال

ومغربا قليلا الى ان ينتهى الى مدينة القلزم فى الجزء الخامس من الاقليم الثانى على الف واربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدّة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه وآخرة عند القلزم يسامت البحر الرومى عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك فى الاسلام وقبلة يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثانى من هذا البحر الحبشى ويسمى الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهى الى الابلة من سواحل البصرة فى الجزء السادس من الاقليم الثانى وعلى اربعمائة فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة والعمان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هى جزيرة العرب كانتها دخلة (1) من البر فى البحر يحيط بها البحر الحبشى من الجنوب وبحر

(1) Man. A. et B. داخلة.

التلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق
 فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما
 وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وابوان كسرى والحيرة
 ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي
 جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد
 اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد
 اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي
 (قالوا) وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار
 في ناحية الشمال وبارض الديلم يسمى بحر جرجان
 وطبرستان طوله الف ميل في عرض ستمائة ميل في غربه
 اذربيجان والديلم وفي شرقيه ارض الترك وخوازم وفي
 جنوبيه طبرستان وفي شماليه ارض الخزر واللان هذه جهلة
 البحار المشهورة التي ذكرها اهل جغرافيا (قالوا) وفي هذا
 الجزء المعمور انهار كثيرة اعطها اربعة انهار وهي النيل
 والفرات ودجلة ونهر بلخ المسهي جيحون (فاما النيل)
 فمبدأه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشر درجة
 وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
 القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلا منه تخرج منه عيون كثيرة
 فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعض في اخرى ثم
 تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة

واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال وعلى سهته ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربه يسمى كل واحد منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الاخر منعطفا الى الغرب ثم يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو (1) نيل السودان واممهم كلهم على صفتيه (واما الفرات) فمبدأه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفيين ثم بالرقّة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشي وتتجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة (واما دجلة) فمبدأها عيون ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق في خالجان تصب كلها في بحيرة البصرة وتفضى الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتتجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات

(1) Man A. اهل.

ودجلة من اوله (1) جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى
الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتى دجلة (واما نهر
جيجون) فمبدؤه من بلخ فى الجزء الثانى من الاقليم
الثالث من عيون هناك كثيرة وتتجلب اليه انهار عظام
ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج
منها الى بلاد خوارزم فى الجزء الثامن من الاقليم الخامس
فيصب فى بحيرة الجرجانية التى باسفل مدينتها وهى
مسيرة شهر فى مثله واليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآتى
من (2) بلاد الترك وعلى غربى نهر جيجون بلاد خراسان
وخوارزم وعلى شرقيه بلاد بخارا والترمذ وسمرقند ومن
هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخرجية وامم
الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس فى كتابه والشريف
فى كتاب رجار وصوروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور
من الجبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة
لنا به لطوله وان عنايتنا فى الاكثر انما هى بالمغرب الذى
هو وطن البربر وبالاطان التى للعرب من الشرق (3) والله
واهب المعونة

(1) Le man. C. ajoute هى.

(2) Man. A. et B. فى.

(3) Man. D. التى فى المغرب والمشرق.

تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالى من الارض اكثر عبرانا من الربع الجنوبى وذكر السبب فى ذلك نحن نرى بالمشاهدة والاحبار المتواترة ان الاول والثانى من الاقاليم المعمورة اقل عبرانا مما بعدها وما وجد من عبرانه فيتخلله الخلاء. والقفار والرمال والبحر الهندى الذى فى الشرق منها وامم هذين الاقليمين واناسيتها ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدها بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيتها بحر زاخر من الكثرة وامصارهما ومدنهما تجاوز الحد عددا والعهران فيهما متدرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الروس فلنوضح ذلك ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع فنقول ان قطبى الفلك الجنوبى والشمالى اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هى اعظم الدوائر الهارة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين فى موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى

المغرب حركة يومية يحرك بها ساير الافلاك التي في جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق وتختلف آماها باختلاف حركات الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة باثنى عشر برجاً وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مايل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مايل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت فاذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يهر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبداء الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع على آفاق هذا المعمر بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهناك ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على

الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل
النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل
النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي
الشمالية وستة تحت الارض وهي الجنوبية والعمارة فيما
بين الاربعة والستين الى التسعين ممتنعة لان الحر والبرد
حينئذ لا يحصلان ممتزجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل
تكوين فاذن الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء في
رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامحة الى رأس السرطان
والى رأس الجدى وتكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار
اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو في الثلاثة
وهو الهسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة
معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية
متدرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج
الجنوبية عن الافق (1) كذلك الى رأس الجدى لانحرافها
الى الجانبين في افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان
في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا

(1) Man. A. et B. لذلك.

وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي مال
 رأس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارتفاع
 القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من
 اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في انخفاض
 الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس
 عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن
 الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه
 غير ممتزج بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها
 تبعث الاشعة على الارض على زوايا قايمة وفيما دون المسامطة
 على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قايمة عظم
 الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
 عند المسامطة وما قرب منها اكثر منه فيها بعد لان الضوء
 سبب الحر والتسخين ثم ان المسامطة في خط الاستواء تكون
 مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير
 بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان
 والجدي الا وقد صعدت الى المسامطة فتبقى الاشعة
 القايمة الزوايا تاح على ذلك الافق ويطول مكثها
 او يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها
 وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيها بعد
 خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة ماحه على

الافق في ذلك الافق بقريب من الحاحها في خط الاستواء وافراط الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدريج الى ان يفراط البرد في شدته بقلة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر اسرع تائيرا في التجفيف من تائير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله تعالى اعلم (ومن هنا) اخذ الحكماء خلا خط الاستواء وما وراءه واورد (1) عليهم انه معهور بالشاهدة (2)

(1) Man. D. ر.د.

(2) Man. A. ajoute والخبر

والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك
والظاهر أنهم لم يردوا امتناع العمران فيه بالكلية انما اداهم
البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوى بافراط الحرّ فالعمران
فيه اما ممتنع او ممكن أقلّي وهو كذلك لانّ خط الاستواء
والذى وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا
وقد زعم ابن رشد ان خط الاستواء معتدل وان ما وراءه فى
الجنوب فى مثابة ما وراءه فى الشمال فيعمر منه ما عهر
من هذا والذى قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين
وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء فى الجنوب من جهة ان
العصر المائى عمر (1) وجه الارض هنالك الى الحدّ الذى
كان مقابله من الجهة الشماليّة قابلا للتكوين ولما امتنع
المعتدل لغلبة الهاء تبعه ما سواه لانّ العمران متدرّج وياخذ فى
التدرّج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع واما القول
بامتناعه فى خط الاستواء فيردّه النقل والله سبحانه اعلم
(ولرسم) بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب
كتاب رجارثم نأخذ فى تفصيل الكلام عليها الى آخره

(1) Man. A. غير. Man. C. عمّ.

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجهل فالمفصل هو الكلام في بلدان هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحدا واحدا وسياتي في الفصل بعد هذا واما المجهل فالكلام في انقسام المعمور بالاقاليم السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذي تضمنه هذا الفصل فناخذ في بيانه وقد تقدم لنا ان الارض طافية على الماء العنصري كالغنية فانكشف كذلك بعضها بحكمة الله في العمران والتكوين العنصري فيقال ان هذا المنكشف هو النصف من سطح الارض فالمعمور منه ربعه والباقي خراب وقيل المعمور سدسه فقط فالخلاء من هذا المنكشف في جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما متصل من الغرب الى الشرق وليس بينه وبين البحر من الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يهر من المغرب الى المشرق مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك على الافق هذا (1) اول العمران الى ما بعده من الشمال وقال بطليموس بل بعده في جهة الجنوب عمران وقدرة بعرض البلد كما ياتي وعند اسحق بن الحسن الخازني ان وراء الاقليم السابع عمران اخر وقدرة بعرض بلده كما نذكر وهو من اية

(1) Man. B. هو.

هذه الصناعة (ثم) ان الحكماء قديما قسموا هذا المعمور في
 جهة الشمال بالاقليم للسبعة بخطوط وهية آخذة من المغرب
 الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم كما ياتي تفصيله
 فالاقليم الاول منها ما مع خط الاستواء من جهة شماليه
 وليس في جنوبه الا تلك العمارة التي اشار اليها بطليموس وبعدها
 القفار والرمال الى دايرة الماء الهسپاة بالبحر المحيط ويليه من
 جهة شماليه الاقليم الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع والخامس
 والسادس والسابع وهو آخر العمران في جهة الشمال وليس
 وراءه الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا لان الخلاء في
 جهة الجنوب اكثر منه في جهة الشمال بكثير (واما عروض)
 هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبي الفلك
 يكونان في خط الاستواء على الافق من غربه الى شرقه
 والشمس تسامت رؤس اهلها فاذا بعد العمران الى جهة
 الشمال ارتفع القطب الشمالي قليلا وانخفض الجنوبي مثله
 وبعدت الشمس عن دايرة معدل النهار الى سمتة بمثل ذلك
 وصارت هذه الابعاد الثلاثة متساوية يسمي كل واحد منها
 عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت وقد اختلف
 الناس في مقدار هذه العروض ومقدارها في الاقاليم فالذي
 عند بطليموس ان عرض المعمور كله سبع وسبعون درجة
 ونصف فعرض المعمور خلف خط الاستواء الى الجنوب منها

أحدى عشر درجة وست وستون درجة ونصف هي عرض
الاقليم الشمالية الى آخرها فعرض الاقليم الاول منها عنده ست
عشر درجة والثاني عشرون والثالث سبع وعشرون والرابع
ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة والسادس ثلاث
واربعون والسابع ثمان واربعون (ثم) قدر الدرجة في الفلك
بستة وستين ميلا وثلاثي ميل من مسافة الارض فيكون
اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب والشمال الف ميل
وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الف ميل وثلثمائة
ميل وثلثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معهما الف ميل
وسبعماية وتسعين والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين
والخامس الفين وخمسمائة وعشرين والسادس الفين وثمانماية
واربعين والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (ثم) ان ازمة
الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقليم بسبب ميل الشمس
عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها
فيتفاوت قوس النهار او الليل لذلك وينتهي اطول الليل
والنهار في آخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براءس
الجدى وبراءس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس
الى اثنى عشرة ساعة ونصف وينتهيان في آخر الاقليم
الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي آخر الاقليم الثالث الى
ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي آخر الرابع الى اربع عشرة

ساعة وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ويبقى للاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد هذه الأعداد (1) من جملة اربعة وعشرين من الساعات الزمانيّة لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة فيكون تفاوت هذه الاقليم في الاطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تزيد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض المعموران الذي وراء خط الاستواء ست عشر درجة وخمسة وعشرون دقيقة واطول ليله ونهاره ثلاث عشر ساعة وعرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء وعرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف وعرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة وعرض الرابع ستة وثلاثون درجة وساعاته اربع عشر ساعة ونصف وعرض الخامس احدى واربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة وعرض السادس خمس واربعون درجة وساعاته خمس عشر ساعة ونصف وعرض السابع ثمان واربعون درجة ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء

(1) بعد الثلاثة عشر ونصف. Man. C. et D.

السابع من عند آخره الى ثلاث وستين درجة وساعاته الى
 عشرين ساعة وعند غير اسحق الخازنى من ايمة هذا الشأن
 ان عرض الذى وراء خط الاستواء ست عشر درجة وسبع
 وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشر
 دقيقة والثانى سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث
 ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون
 درجة ونصف درجة والخامس ثلاث واربعون درجة والسادس
 سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون دقيقة وقيل فيه ست
 واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احدى وخمسون
 درجة وثلاث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع
 وسبعون درجة وعند ابى جعفر الخازنى من ايمتهم ايضا ان
 عرض الاقليم الاول من درجة الى عشرين وثلاث عشرة
 دقيقة والثانى الى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة والثالث
 الى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة والرابع الى ثمان
 وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الى اثنين واربعين
 وثمان وخمسين دقيقة والسادس الى سبع واربعين ودقيقتين
 والسابع الى خمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرنى
 من اختلافهم فى العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم
 والله خلق كل شئ فقدرة تقديرا (فصل) والمتكلمون على
 هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة فى

طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحر في كل جزء منها ونحاذي (1) بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشناق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي لهلك صقلية من الافرنج وهو رجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج سلفه عن امانة مالقة وكان تأليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتب حجة للمسعودي وابن خردادبه والحوقلي والعذري واسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها

الاقليم الاول

وفيه من جهة غربيه الجزاير الخالدات التي منها بدء بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكترة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفارين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض

(1) Man. A. نحزى. B. نجازى.

اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يلوحونها (1) الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن فى البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهايتها والى اين توصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهبّ واذا اختلف المهبّ وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذاة تحمل السفينة بها على قوانين فى ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم روساء السفر فى البحر والبلاد التى حفاى البحر الرومى وفى عدوتيه مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ما هى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهابّ الرياح ومهراتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص (2) وعليها يعتمدون فى اسفارهم وهذا كله مفقود فى البحر المحيط فلذلك لاتلجج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدى الى الرجوع

(1) Man. D. يرمونها.

(2) Man. A. الكنباص.

اليها مع ما ينعقد في جوّ هذا البحر وعلى صفح مايه (1) من
الابخرة المهانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها (2) فلذلك
عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها (واما الجزء
الاول) من هذا الاقليم ففيه مصبّ النيل الآتى من مبدائه
عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب
الى البحر المحيط فيصّب فيه عند جزيرة اوليل (3) وعلى هذا
النيل مدينة سلى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في ملكة اهل
مالى من امم السودان والى بلاده يسافر تجّار المغرب الاقصى
وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوايف المثلثين
مفاوز يجولون فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال
لهم لملم وهم كقار ويكتبون في وجوههم واصداغهم واهل
غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجّار
فيجلبونهم الى المغرب ومنهم عامّة رقيقهم وليس وراءهم فى
الجنوب عمران يعتبر الآ اناسى اقرب الى الحيوان العجم
من الناطق يسكنون الغياض والكهوف وياكلون العشب
والحجوب غير مهيئة (4) وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا فى
اعداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء

(1) Man. B. سفح.

(3) Man. C. اوليك.

(2) Man. C. فتحللها.

(4) Man. A. مهيئات.

المغرب مثل توات وتيكورارين وواركلان (1) وكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفي شرقى هذه البلاد فى الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص فى رمال الجزء الثانى وكان ملك كوكو قايبا بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى واصبحت فى ملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالى فى محلها من تاريخ البربر وفى جنوبى بلاد كوكو بلاد كانم من اعم السودان وبعدهم ونكارة (2) على ضفة النيل من شماليه وفى شرقى بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي (3) وتاجرة المتصلة بارض النوبة فى الجزء الرابع من هذا الاقليم (وفيهما) يمر نيل مصر ذاهبا من مبدائه عند خط الاستواء الى البحر الرومى فى الشمالى ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا فى ضبط هذه اللفظة

(1) Man A. مواركلان. B. قراركلان.

(3) Man. C. زغانة, D. زغاوة.

(2) Man. C. et D. ونقارة.

فبعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة
بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم
القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون يجتمع كل
خمسة منها في بحيرة وبينها ستة اميال وتخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة
واحدة في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم مأوها بقسمين فيمرّ الغربى منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصبّ في البحر المحيط ويخرج الشرقى
منه ذاهبا الى الشمال في بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما
وينقسم في اعلا ارض مصر فيصبّ ثلاثة من جداوله في
البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصبّ واحد
في بحيرة ملحّة قبل ان يتصل بالبحر وفي وسط هذا
الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
في غربى هذا النيل وبعدها علوة (1) وبللق (2) وبعدهما جبل
الجنادل على ستة مراحل من بللق في الشمال وهو جبل
عالى من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل
ويصبّ في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه

(1) Man. A. et B. غلو.

TOME XVI. — 1^{re} partie.

(2) Man. A. et B. يلاق.

المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان ثنتى عشر مرحلة والواحات فى غربها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة (وفى) وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتى من وراء خط الاستواء ويمر قبالة مقدشو التى فى جنوب البحر الهندى ذاهبا الى ارض النوبة فيصت هنالك فى النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم من هذا الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان فى الجزاير التى فى داخله وهى متعددة يقال تنتهى الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعهور فى الجنوب وفيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها فى هذا الاقليم الا اول الا طرف من بلاد الصين فى جهة المشرق وبلاد اليمن فى الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما

بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر
 فى شرقها على ساحل هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز
 واليمامة وما يليهما كما نذكر فى الاقليم الثانى وما بعده
 فاما الذى على ساحل هذا البحر غربيه فبلد زالع من
 اطراف الحبشة ومجالات البجة فى شمالى الحبشة ما
 بين جبل العلاقى الذى فى اعلى الصعيد وبين بحر القلزم
 الهابط من البحر الهندى الى ارض مصر وتحت بلد زالع
 من جهة الشمال فى هذا البحر خليج باب الهندب يضيق
 البحر الهابط هنالك بهزاحة جبل المندب الهائل (1) فى
 وسط البحر الهندى مهتداً مع ساحل اليمن الغربى من
 الجنوب الى الشمال فى طول اثنى عشر ميلا فيضيق البحر
 بسبب ذلك الى ان يصير فى عرض ثلاثة اميال او نحوها
 ويسمى باب الهندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
 السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن
 ودهلك وقبالتة من غربيه مجالات البجة من اعم السودان
 كما ذكرنا ومن شرقيه تهائم اليمن على ساحله ومنها بلد
 حلى بن يعقوب وفى جهة الجنوب من بلد زالع وعلى
 ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضا
 وتنعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هنالك

(1) Man. B. المايل.

من جهة شرقها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبجرة العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبيه ثم يليها شرقا بلاد سفالة (1) على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقى بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط (واما) جزاير هذا البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبتداء من قبالة ارض سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين وتحتق بها في هذا البحر من جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيللا الى جزاير اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب والافاوية (2) وفيما يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزاير من احوال العمران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليين كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم

(1) Man. A. et B. سفالة.

(2) Man. A. B. C. الافاوة.

وتهمامة اليبين وبعدها بلد صعدة مقر الأيمة الزيدية وهى بعيدة
عن البحر الجنوبى وعن البحر الشرقى وفيما بعد ذلك
مدينة عدن وفى شمالها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض
الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما
بين البحر الجنوبى وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء
السادس هى التى انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم
الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه فى
العاشر فيه اعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو
وقبالتها من جهة المشرق جزاير السيللا وقد تقدم ذكرها وهذا
آخر الكلام فى الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه فى
البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التى مرّ
ذكرها فى الجزء الاول والثانى منه فى الجانب الاعلا منهما
ارض قمنورية وبعدها فى جهة المشرق اعلى ارض غانة ثم
مجالات زغاي (1) من السودان وفى الجانب الاسفل منها
صحراء نيسرة (2) متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز

(1) Man. C. زغاوة.

(2) Man. C. نيسر.

يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان
وفيها مجالات المثلثين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما
بين كدالة ولمتونة ومسوفة (1) ولمطة ووتربكة (2) وعلى
سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان (3) ثم مجالات ازكار
من قبائل البربر ذاهبة الى اعالي الجزء الثالث على سمتها
في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان
ثم قطعة من ارض التاجوين وفي اسافل هذا الجزء الثالث
وهي جهة الشمال منه بقية ودان (4) وعلى سمتها شرقا ارض
سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من
اعلاه بقية ارض التاجوين ثم تعترض في وسط هذا الجزء
بلاد الصعيد حفا في النيل الذاهب من مبدائه في الافليم
الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين
الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من
شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك
حفايه الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك
شعبتين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون
والايسر عند دلاص وفيها بينهما اعالي ديار مصر وفي الشرق
من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبة في الجزء الخامس

(1) Man. A et B. مسوفة.

(3) Man. A. B. C. قران.

(2) Man. C. وزبكة.

(4) Man. A. السودان.

الى ان تنتهى الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله تعالى وفى ساحلها جدّة مقابل بلد عيذاب فى العدوّة الغربيّة من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتباله الى عكاظ من الشمال وتحت بلاد نجد بقية ارض الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما ارض اليمامة وعلى سمت نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مرّ ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيغمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلّهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلا من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى فى السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلا كّه وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران منه وتقابلها بلاد الطوبران وهى من السند ايضا فيتصل السند كله فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين

ارض الهند وبمرّ فيه نهره الآتى من ناحية بلاد الهند ويصبّ
 فى البحر الهندى فى الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل
 البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا (1) وتحتها
 الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعلى
 بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا
 من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيار فى
 الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندى وتحتها من
 الجانب الاسفل ارض كابل وبعدهما شرقا الى البحر المحيط
 بلاد القنوج وما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند
 آخر الاقليم وفى الجزء التاسع ثم فى الجانب الغربى منه
 بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقى وتتصل
 من اعلاه الى العاشر وتبقى فى اسفل ذلك الجانب
 قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون (2) ثم تتصل بلاد
 الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

(1) Man. A. بلكهرا.

(2) Man. A. خيفون.

الأقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الأول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر امم لا يحصيهم الا خالقهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والأقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس ونول (1) وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الأقليم الثاني وهذا الجبل مطلق على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل النيايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياها ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه اعم المصامدة فسكسيوة (2) عند البحر المحيط ثم هتنانة (3) ثم تينملل (4) ثم كدميوة ثم هسكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل صناكة وهم صنهاجة ثم في آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك اعم اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة

(1) نون. Lisez.

(2) فسكسيوة. Man. A.

TOME XVI. — 1^{re} partie.

(3) هتنانة. Man: C.

(4) نيتبال. Ibid.

غربيه مطلق على بلاد المغرب الاقصى وهى فى جوفيه ففى
 الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش واغمات وتادلا وعلى البحر
 المحيط منها رباط اسفى ومدينة سلا وفى الشرق عن بلاد
 مراکش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هى التى
 تسمى المغرب الاقصى فى عرف اهلها وعلى ساحل البحر
 المحيط منها بلد ارضيلا والعرايش وفى سمت هذه البلاد
 شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفى سواحلها
 على البحر الرومى بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا البحر
 الرومى يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة فى
 الناحية الغربية من الجزء الرابع ويذهب مشرقا فينتهى الى
 بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد انفسح
 جنوبا وشمالا فدخل فى الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده تبتدى
 من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم
 يتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد بجاية فى ساحل البحر
 ثم قسنطينة (1) فى الشرق عنها وفى آخر الجزء الاول وعلى
 مرحلة من هذا البحر وفى جنوبى هذه البلاد مرتفعا الى
 جنوب المغرب الاوسط بلد شير بجبل تيطرى ثم بلد المسيلة
 ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن

(1) قسنطينة. Man. C. قسنطينة. Man. B. قسنطينة. Man. A.

كما مرّ وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء
الثانى من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول يمرّ جبل درن
على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق
فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومى مسافة من شماله فالقطعة
الجنوبية عن جبل درن غربها كله مفاوز وفى الشرق منها بلد
غدامس وفى سمتها شرقا ارض ودان التى بقيتها بالاقليم
الثانى كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين
البحر الرومى فالغربى منها جبل اوراس وتبسة والاريس
وعلى ساحل هذا البحر بلد بونة ثم فى سمت هذه البلاد
شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة
ثم المهديّة وفى جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد
الجريد توزر وقفصة ونفراوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة
القيروان وجبل وشلات وسبيطة وعلى سمت هذه البلاد كلها
شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومى وبازايها بالجنوب جبال
دمر ومقرة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفى مقابله
غدامس التى نذكرها فى آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا
الجزء فى الشمرق سويقة (1) ابن مشکود على البحر وفى
جنوبها مجالات العرب فى ارض ودان والجزء الثالث من
هذا الاقليم يمرّ فيه ايضا جبل درن⁷⁷ الا انه ينعطف عند آخره

(1) Man. A. سويقة.

الى الشمال فيذهب على سمتة الى ان يدخل فى البحر الرومى
ويسمى هناك طرف اوثان والبحر الرومى من شماليه غمر
طايفة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذى
وراء الجبل فى الجنوب وفى الغرب منه بقية ارض ودان
ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار
الى آخر الجزء فى الشرق وفيما بين الجبل والبحر فى
الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها
العرب ثم اجدا بية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليمة (١)
على البحر هنالك ثم فى شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحة الى آخر الجزء وفى الجزء الرابع من هذا
الاقليم وفى الاعلا من غربه صحارى برنيق واسفل منها بلاد
هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومى فى هذا الجزء فيغمر طايفة
منه ذاهبا الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه
وبين آخر الجزء قفار يجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا
بلاد الفيوم وهى على مصب احدى الشعبين من النيل
الذى يمر على اللاهون من بلد الصعيد فى الجزء الرابع من
الاقليم الثالث فيصّب فى بحيرة الفيوم وعلى سمتة شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثانى الذى يمر
بدلاص عند بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثانى ويفترق هذا

(١) Man. C. et D. طلسمه.

الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطنوق (1) وزفتة وينقسم الايمن منهما من تروط (2) بشعبين آخرين ويصب جميعهما في البحر الرومي فعلى مصب الغربى من هذه الشعب بلاد اسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقى بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفلاحاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك ان بحر القلزم ينتهى من الجنوب وفي المغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر الهندى الى الشمال ينعطف آخر الى جهة المغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة تنتهى في الطرف الغربى منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبل فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم الحورا في آخره ومن هناك ينعطف ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثانى في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومى غمرت كثيراً من غربيه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربى هذا الباب فحصى التيه ارض

(1) Man. A. et B. سطنوق.

(2) Lirez تروط.

جرداء لا تثبت كانت مجالا لبنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومى فى هذا الجزء طايفة من جزيرة قبرص وبقيتها فى الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المضائق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة فى انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وعرة وهنالك منتهى البحر الرومى فى جهة الشرق على هذه القطعة اكثر السواحل الشامية (1) ففى شرق عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم عرة ثم ينحط البحر الى الشمال فى الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة فى هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب فى ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يتجاوز (2) هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانه حاجز بين ارض مصر والشام ففى طرفه عند ايلة العقبة التى يمر عليها الحاح من مصر الى مكة ثم بعدها فى ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور

(1) Man. B. et C. سواحل الشام.

(2) Man. A. et B. يجاوز.

من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا
 وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيما ودومة الجندل
 وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في
 جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم
 صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند جبل
 اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى ادراعات
 وحوران وعلى سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء
 وهي آخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من
 آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت
 دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة
 الشمالية آخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن
 بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء
 وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد
 نجد واليهامة ما بين جبل الغرج والضمان الى البحرين
 وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات
 بلد الحيرة والقادسية ومغايس الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة
 البصرة وفي هذا الجزء ينتهى بحر فارس منه عبادان والابلة
 في اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر
 دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخر

من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصبّ في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه مضايقة لآخره في شقيه وضيقة عند منتهاه مضايقة للحدّ الشمالى منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر والاحساء وفى غربها الخطّ والضهان وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس فمن اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتدّ من هذا البحر مشرقا ووراه على الجنوب فى هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجيرم على ساحل هذا البحر وفى شرقه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودرابجرد وفسا (1) واصطخر والشاهجان وشيراز وهى قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خورستان ومنها الاهواز وتستر وجندى سابور والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان هى حدّ بين فارس وخورستان وفى شرقى بلاد خورستان جبل الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها فى ارض فارس وتسمى الزموم وفى الجزء السابع ثم فى اعلى منه من (2) الغرب بقية جبال القفص ويلىها من الجنوب

(1) Man. A. et B. نسا.

(2) Man. B. فى.

والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الروذان (1) والشيرجان (2) وجيرفت وتردشير (3) والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن عرض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان في الجنوب وارض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخلاج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبل الغور وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومروالروود والطاقان والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ وفي

(1) Man. B. السرودان.

(3) Man. A. نردشيرن.

(2) Man. C. الشرجان.

شرقيه مدينة الترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد ونخان فى حدود بدخشان مما يلى الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خرباب (1) ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمتة الى ان يصب فى بحيرة خوارزم فى الاقليم الخامس كما نذكر ويمدّه عند انعطافه فى وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الجبل والوخش من شرقيه وانهار اخر من جبال البتم من شرقه ايضا وجوفى الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدّة له نهر ونخشاب يخرج من بلاد التبت وهى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمرّ مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه فى طريقه جبل عظيم يمرّ فى وسط الجنوب فى هذا الجزء (2) ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيحوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الجبل وليس فيه الا مسلك واحد فى وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا

(1) Man. C. خرباب.

(2) Man. B. النهر.

وبنى له بابا كسدّ يا جوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فنفذ تحته فى مدى بعيد الى ان يمرّ ببلاد الوخش ويصبّ فى نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمرّ هابطا الى الترمذ فى الشمال الى بلاد الجوزجان وفى الشرق من بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفى العدوّة الشرقية هنالك من النهر بلاد الجبل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدّها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربى نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذى خلفه بلاد التبت ويمرّ تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمرّ نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصبّ فيه منها نهر بلاد الوخش يصبّ فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخا يخرج من جبال البتم من مبدائه عند الجوزجان ويصبّ فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلد امل من خراسان وفى شرقى النهر من هنالك ارض الصغد واشروسنة من بلاد الترك وفى شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شماليها وفى الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفى جنوبيها بلاد الهند وفى

شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلخية (1) من الترك الى آخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض البغرغر من الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بقية بلاد البغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير (2) من الترك ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتهما في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثير فيحتمل اهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه وهذه البلاد في الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبل كلها مجالات للترك امم لا تحصى وهم طواعن رحالة اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنتاج والركوب والاكل وطوايفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الداينيين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

(1) Man. B. et D. الخزلخية, C. الخزلخية. (2) Lisez خرخير.

الأقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الأول منه في غربيه
 قطعة من البحر المحيط مستطيلة من اوله جنوبا الى آخره
 شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه
 القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومى في
 خليج متضايق بمقدار اثنى عشر ميلا بين طريف والجزيرة
 الخضراء شمالا وقصر المجاز وستة جنوبا ويذهب مشرقا
 الى ان ينتهى الى وسط الجزء الخامس من هذا الأقليم
 وينفسح في ذهابه بتدرج الى ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر
 الخامس ويغمر عن جانبه طرفا من الأقليم الثالث والخامس
 كما نذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامى ايضا وفيه جزاير كثيرة
 واعظمها في جهة المغرب يابسة ثم ميورقة ثم منرقة ثم سردانية
 ثم صقلية وهى اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما
 نذكرها كلها في اجزائها التى وقعت فيها ويخرج من هذا
 البحر الرومى عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث
 من الأقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال
 ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفية ويمر مغربا الى ان
 ينتهى فى الجزء الثانى من الخامس ويخرج منه ايضا فى
 آخر الجزء الرابع شرقا من الأقليم الخامس خليج القسطنطينية
 يمر فى الشمال متضايقا فى عرض رمية السهم الى آخر الأقليم

ثم يفضى الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش (1) ذاهبا الى الشرق فى الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك فى اماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث ويبقى فى الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها ستة على البحر الرومى ثم تيطاوين ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة فى هذا الجزء فى شماله وشمالي الخليج منه وهى كلها بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومى اولها طريف عند مجمع البحرين وفى الشرق عنها على ساحل البحر الرومى الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم الهنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه شريش ولبلة وقيالتهما فيه جزيرة قادس وفى الشرق عن شريش ولبلة اشبيلية ثم اسجة وقرطبة ومرتكة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شنتمرية وشلب على البحر المحيط غربا وفى الشرق عنها بطليوس وماردة ويابرة ثم غافق وترجالة ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر تاجة

(1) بنطش Lisez (1)

وفى الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف وبسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يبداء من الغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر الجزء من شماليه فينتهى الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبيرة فى الشرق عن قورية ثم طليطلة ثم وادى الخجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غرب الاندلس واما شرق الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى منها من بعد المربة قرطاجنة ثم لقت ثم دائية ثم بلنسية الى طركونة آخر الجزء فى الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة (1) يتاخمان بسطة وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شرقا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا ايضا جنجاله ووبذة متاخمتان لشقورة وطليلطة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم فى الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثانى من هذا الاقليم عمر الماء جميعه الاقطعة من غربيّه فى الشمال فيها بقية جبل البرتات معناه جبل الشايا والمسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبداء من

(1) Man. A. et B. شقورة.

الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويتر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثانى فتقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها الى البر المتصل ويسمى ارض غشكونية وفيه مدينة جرندة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومى من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذى غمر الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرها ففى غربيه جزيرة سردانية وفى شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار ويقال ان فى دورها سبعمائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازر ومسينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرتا غودش (1) ومالطة والجزء الثالث من هذا الجزء مغهور ايضا بالبحر الا ثالث قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغهور ايضا بالبحر كما مرّ وجزايره كثيرة واكثرها غير مسكون كما فى الثالث والمعهور منها جزيرة بلبونس فى الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم

(1) جزيرة غودش. Man. D. جزيرة تا غودش. Man. A. et B.

غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهى
الضلع الغربى منها الى آخر الجزء فى الشمال وينتهى
الضلع الجنوبى منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى فى
الجانب الشرقى من الجزء قطعة نحو الثلث يمرّ الشمالى
منها الى الغرب منعطفًا مع البحر كما قلناه وفى النصف
الجنوبى منها اسافل الشام ويمرّ فى وسطها جبل اللكام
الى ان ينتهى الى آخر الشام فى الشمال فينعطف من
هنالك ذاهبا الى القطر الشرقى الشمالى ويسمى بعد
انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم
الخامس ويحوز عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة
الشرق وتقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصل
بعضها ببعض الى ان تنتهى الى طرف خارج من
البحر الرومى متاخم الى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه
الجبال ثنايا تسمى الدروب وهى التى تفضى الى بلاد
الارمن وفى هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التى قدمنا ان فيها
اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر
الرومى وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل
البحر منه بلد انطرسوس فى اول الجزء من الجنوب
متاخمة لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفى

شمال انطرسوس جبلة ثم اللادقية ثم اسكندرية ثم سلوقية
وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
وآخر الجزء فحفايه من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا
حصن الخوابى من غربيه وهو للحشيشية الاسماعيليه
ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصيات وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل
بلد سلمية فى الشمال عن حمص وفى الشمال عن مصيات
بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها فى شرق الجبل
المعرة وفى شرقها المراغة وفى شمال انطاكية المصيصة ثم
ادنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل
قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل
حلب ويقابل عين زربة منبع آخر الشام واما الدروب فعن
يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد الروم التى هى
لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاكية (1) والعلايا واما بلاد الارمن التى
بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية
وانقرة الى آخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس فى
بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان فى شرقيه فيمر نهر
جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم

(1) انطالية : Telle est la leçon des manuscrits ; mais il faut lire :

بالمصيصة ثم ينطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب
 فى البحر الرومى جنوب سلوقية ويمر نهر سيحان موازيا
 لنهر جيحان فيحاذى انقرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب
 الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان
 ثم ينطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند
 المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التى يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففى جنوبها بلد
 الرافقة والرقّة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم
 شميساط وآمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله
 وهو ايضا آخر الجزء من شرقه ويمر فى وسط هذه القطعة نهر
 الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمران
 فى بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمر
 نهر الفرات فى غربى شميساط وسروج ثم ينحرف الى
 الشرق فيمر بغرب الرافقة والرقّة ويخرج الى الجزء السادس
 ويمر دجلة فى شرق آمد وينعطف قريبا الى الشرق
 فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفى الجزء السادس من
 هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفى الشرق عنها بلاد
 العراق متصلة بها تنتهى فى الشرق الى قرب آخر الجزء
 ويعترض آخر العراق هناك جبل اصبهان هابطا من جنوب
 الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من

آخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة في الجزء الخامس فيقطع في الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس في شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا وتبقى صفيين في غربه ثم ينطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعض بقصر ابن هبيرة وبالجامعين ويخرج جميعها في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرقا على سمته الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على سمته ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمتة فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهي الى الحديثة فينطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير

والصغير كذلك ويمر على سمته جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهى الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتكثر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك فى بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعهما ببغداد هى بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة والفرات بعد مفارقة بغداد نهر اخر ياتى من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهى الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم يعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفى شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبداء من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور فيقسمها بقطعتين وفى الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان فى الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفى وسطها بلد نهاوند (1) وفى شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينوز شرقا عند آخر الجزء وفى القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذى يقابلها من جبل العراق

(1) Man. A. et B. البهلوس.

يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورايه فى آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربايجان ومنها تبريز والبيلقان وفى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطن وهو بحر الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربيه وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوين وبقيتها فى الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربيه ويمر بالاقليم الثالث ثم ينطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق فى شرقيه الذى مر ذكره هنالك وانه محيط ببلاد البهلوس فى القطعة الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد البهلوس من شرقيها وتحتاه هنالك قاشان ثم قم وينطف فى قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشئ ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل عند منعطفه واستدارته على بلد الرى فى شرقيه ويبدأ من منعطف اخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه هنالك قزوين ومن جانبه الشمالى وجانب جبل الرى المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم

الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال
وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل فى الاقليم الخامس
فى هذا الجزء فى نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض
عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر
على سمتة مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل
فى الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الرى وهذا
الجبل من عند مبدئها بلاد جرجان فيما بين الجبلين
ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية
المفازة التى بين فارس وخراسان وهى شرقى قاشان وفى
آخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحفانى هذا الجبل من
شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففى
جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان
آخر الجزء وفى شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون
وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفى الشمال
عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال
والشرق مفاوز معطلة وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى
غربه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففى
عدوته الغربية زم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية
من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل
استراباذ المعترض فى الجزء السابع قبله ويخرج من هذا

الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمرّ الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرق نهر جيحون من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اشروسنة ومنها خجدة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واشروسنة ارض يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش يمرّ الى آخر الجزء شرقا وتأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمرّ معترضا في الجزء الثامن الى ان يصبّ في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت وتختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبداء من الاقليم الخامس وينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض

بخارا وحوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض جندة وفيها بلاد اسيجاب وطران (1) وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد فرغانة والشاش ارض الخرخية في الجنوب وارض الخاخلية في (2) الشمال وفي شرق الجزء كله الى آخره ارض الكيماكية وتتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قويايا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الامم كلها شعوب الترك

الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغمور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه قطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بنية ارض الاندلس منت ميور (3) على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وشلنكة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن شلمنكة ابلة آخر الجنوب وارض

(1) Les man. A. B. C. طرار.

(2) Man. C. et D. الخاخية

(3) Man. A. مينة منور. B. منت منور.

قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض
ليون وبرغشت (1) ثم وراها في الشمال ارض جليقية الى
زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع
الغربي بلد شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق
الاندلس مدينة تطيلة (2) عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً
عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها
شرقاً وشمالاً وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم تاجرة فيما بينها
وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذياً
للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر من عند بنبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا
من قبل انه يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم
الرابع وبصير حجراً على الاندلس من جهة الشرق وثناياه
ابواب لها تفضى الى بلاد غشكونية من اعم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي
وجرندة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوشة شمالاً عن جرندة واما المنكشاف في هذا
الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل
زاويته الحادة وراء البرتات شرقاً وفيها على البحر المحيط

(1) Man. A. برغشت. B. برغست.

(2) Man. A. et B. تطيلة.

C. رغشت.

على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد بيونة
وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
ارض بيطو من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في
الناحية الغربية منه ارض غشكونية وفي شمالها ارض بيطو
وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية قطعة من
البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مايلة الى
الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخلية في
جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى
سمتها في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سمتة
ارض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة للخارج من البحر
الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظيمة
كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابة بتركهم الاعظم وفيها من
المباني الضخمة والهيكل المهولة والكنائس العادية ما هو
معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من
المشرق الى المغرب مفروش قاعه ببلاط النحاس وفيها
كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي
الشمال عن بلاد رومة بلاد انبرضية الى آخر الجزء وعلى هذا
الطرف من البحر الذى في جونه (1) رومة بلد نابل في

(1) Man. B. جوفه.

الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج
وفى شمالها طرف من خليج البنادقة دخل فى هذا الجزء
من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء
وانتهى فى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة
من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد
انكلاية فى الاقليم السادس وفى الجزء الثالث من هذا
الاقليم فى غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر
الرومى يدخل جانب من برها فى الاقليم الرابع فى البحر
الرومى فى جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت
الشمال الى هذا الجزء وفى شرق بلاد قلورية بلاد انكبردة
فى جون بين خليج البنادقة والبحر الرومى ويدخل طرف
هذا الجون فى الاقليم الرابع وفى البحر الرومى ويحيط به
من شرقه خليج البنادقة من البحر الرومى ذاهبا الى سمت
الشمال ثم ينعطف الى المغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالى
ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب
معه فى الشمال ثم يغرب معه فى الاقليم السادس الى ان
ينتهى قبالة الخليج فى شماله فى بلاد انكلاية من امم
اللمانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا
الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى
المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد اللمانيين عند طرف

الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مخرسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منهما طرف في البر في الجون بينها وفي آخر الجزء شرقا خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطنس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين (1) ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطنّها لهذا العهد مجالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا (2) وكانت من قبلهم للروم وغلبتهم عليها الامم الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد

(1) Man. A. et B. لليونانيين. C. اليونان. (2) Man. A. et B. برصة.
Томъ XVI. — I^{re} partie.

عمورية وفي شرق عمورية نهر قباقب الذى يمدّ الفرات
يخرج من جبل هنالك ويذهب فى الجنوب حتى
يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره فى
الاقليم الرابع وهناك فى غربيه آخر الجزء مبداء نهر
سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمته وقد مرّ
ذكرهما وفى شرقيه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب على
سمته وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاوية
التى بين الجنوب والشرق عن هذا الجزء وراء الجبل
الذى يبداء منه نهر دجلة بلد ميافارقين ونهر قباقب الذى
ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها
ارض باطوس كما قلناه واسفلها الى آخر الجزء شهالا ووراء
الجبل الذى يبداء منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
والقطعة الثانية شالية شرقية جنوبية على الثلث فى الجنوب
منها مبداء الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة
بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهى عريضة وفى آخرها
عند مبداء الفرات بلد حرشنة (1) وفى الزاوية الشرقية
الشالية قطعة من بحر نيطش الذى يمدّه خليج القسطنطينية
وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربه بلاد
ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق

(1) Man. A. حرشنة. B. حرسنة.

وفيهما بلد ارزن في الجنوب والمغرب وفي شمالها تفليس
 ودبيل وفي شرقي ارزن مدينة خلاط ثم برذعة وفي جنوبها
 بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد
 ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد الهراغة في شرقي
 جبل (1) الاكراد المسمى بارما وقد مر ذكره في الجزء السادس
 منه ويتاخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله
 من جهة المشرق فيها بلاد اذربيجان وآخرها في هذا الجزء
 شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في
 الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر
 طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر
 وهم التركمان ويبدأ من عند هذه القطيعة البحرية في
 الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى
 الجزء الخامس وتتم فيه منعطفة ومحيطة ببلاد ميفارقين
 ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة
 في اسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر
 وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب
 تفضى من الجانبين ففي جنوبها بلاد الأبواب متصلة في
 الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب
 الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها

(1) Man. A. et B. جبلها.

ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السريبر وفي الزاوية الغربية الشمالية منها وهي زاوية الجزء كله قطعة ايضا من بحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحقّق بهذه القطعة من نيطش بلاد السريبر وعليها منها بلاد طرابزنده وتتصل بلاد السريبر بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهي شرقا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبل الديلم الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه انفا وتنكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصبّ فيها نهر اتل في هذا البحر وتبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات

للغز من امم الترك ويقال لهم الخزر كانه عرب وصارت
خاوه غينا وشددت الزاي ويحيط بهذه القطعة جبل من
جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب
الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر
طبرستان فيحتمق به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس
ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياه
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم
يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا
الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض
السريير وارض الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء
السادس والسابع حفاني هذا الجبل المسمى جبل شياه
كما ياتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله
مجالات للغز من امم الترك وفي الجهة الجنوبية الغربية
منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها
ثلثماية ميل ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه
المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غرغون
دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا
الجزء جبل مرغار (1) ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه
وهو متصل بآخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة غرغون

(1) مرغان. Man. B.

جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيا يسمى غرغون وبه
 سميت البحيرة وتتجلب منه ومن جبل مرغار شمال
 البحيرة انهار لا ينحصر عددها فتصب فيها من الجانبين
 وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم
 الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحفه من
 جهة الشرق آخر الجزء جبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج
 يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حين
 ينطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من
 آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتق هنالك
 بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انطف مغربا
 في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط
 من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر
 من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخرة وبقيت في
 جنوبه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى الغرب فيها آخر
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي
 الاعلى منه وانطف قريبا الى الشمال وذهب الى سمتة الى
 الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
 نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوفايا عند
 الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب
 وهي من بلاد ياجوج وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا

الأقليم أرض ياجوج متصلة فيه كله الأقطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقه من جنوبه إلى شماله والأقطعة التي يفصلها إلى جهة الجنوب والغرب جبل قوفايا حين مر فيه وما سوى ذلك فكله أرض ياجوج وماجوج

الأقليم السادس

فالجزء الأول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من الأرض في هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولاً وعرضاً وهي كلها أرض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء بلاد صابس (1) متصلة بأرض بيطو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الأقليم الخامس وشماله والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر المحيط من غربه فمن غربه في قطعة مستطيلة أكثر من النصف الشمالي من شرق أرض برطانية في الجزء الأول واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة

ضاليس. Man. A. et B. (1) -

انكلطرة وهى جزيرة عظيمة ممتعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها فى الاقليم السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء بلاد برمندية وبلاد افلادنش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها لامم الافرنجة وبلاد اللمايين فى النصف الشرقى من هذا الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهرنكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيط فى الزاوية الشمالية الشرقية ارض افرندة وكلها لامم اللمايين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى الناحية الغربية بلاد يوانية (1) فى الجنوب وبلاد شصونية فى الشمال وفى الناحية الشرقية بلاد انكرية فى الجنوب وبلاد بلونية فى الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا فى الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شصونية آخر النصف الغربى وفى الجزء الرابع فى ناحية الجنوب ارض جثولية وتحتها فى الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف الشرقى وفى شرق ارض جثولية بلاد جرمانية وفى الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر

(1) نوابية. Man. C.

الرومي وعند مدفعه في بحر نيطش فيقع قطعة من بحر نيطش في اعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء يمتددا الخليج وبينهما في الزاوية بلد مسناة وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية منه بحر نيطش يتصل من الخليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمتة شرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول الف وثلاثماية ميل من مبدائه في عرض ستماية ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل نيطش متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية (1) وقاعدتها سنوبلى (2) على بحر نيطش وفي شمالى بحر نيطش في هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان من شرقها في هذا الجزء ومن شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطش وينحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفي جنوبه ومنفسحا الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية اللانية التي كانت آخر

(1) Man. A. et B. لانية.
TOME XVI. — I^{re} partie.

(2) Man. C. سويلى.

جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الجنوبية ارض بانجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كوية (1) المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتة مغربا فيحوز (2) هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارقتة بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض بسجرت (3) وبجناك من امم الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولنج (4) من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبداء نهر ائل من اعظم انهار العالم وممره

(1) Man. A. شياكوبة.

(3) Man. A. et B. سجرت.

(2) Man. A. B. et D. بجوز.

(4) Lisez الخولنج.

في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس
وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من
جبل في الارض المنتنه من ثلاثة ينابيع تجمع في نهر
واحد ويمر على سمت المغرب الى آخر السابع من هذا
الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع
فيمر على طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء
السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف
ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس
ويخرج منه جداول تذهب مغربا وتنصب في بحر نيطنش
في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في
بلاد بلغار (1) فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس
ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمر
في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع
منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي
انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي
الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد
خفشاخ من الترك وهم قفجق وبلاد التركش (2) منهم ايضا
جبل قوفايا وفي الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل
قوفايا المحيط وقد مر ذكره يبداء من البحر المحيط في

(1) Man. A. et B. برغار.

(2) Man. B. et C. التركس.

شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم فى الشمال
 ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل فى الجزء
 التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمتة الاول فى
 الشمال حتى يدخل فى هذا الجزء التاسع من جنوبه الى
 شمال وبانحراف الى المغرب وفى وسطه ههنا السد الذى
 بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة فى الاقليم السابع وفى
 الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلتقى البحر
 المحيط فى شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغربا فى
 الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك
 بقطعة من البحر المحيط فى غربيه وفى وسط هذا الجزء
 التاسع هو السد الذى بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من
 خبره فى القران وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه فى كتابه
 فى الجغرافيا ان الواثق رأى فى منامه كان السد انفتح
 فانتبه فزعا وبعث سلامة الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره
 ووصفه فى حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفى
 الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى
 آخره على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من
 شرقه وشماله مستطيلة فى الشمال وعريضة بعض الشئ فى
 الشرق انتهى

الأقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الأقليم السادس وهي مذكورة هنالك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثنى عشر ميلا ووراء هذا الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلاندة مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الأقليم مغمور اكثره بالبحر لاقطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الأقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة ويتصل في البر من باب في جنوبها يفضى الى بلاد فلونية (1) وفي شمالها جزيرة برقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الأقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط

(1) Man. A. قلوانية. B. فلونية.

من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربه ارض
 فيما زك من الترك وفي شرقها بلاد طبست ثم ارض
 رسلاندة الى آخر الجزء شرقا وهي دايمة الثلوج وعمرانها
 قليل وتتصل ببلاد روسية في الاقليم السادس وفي الجزء
 الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم
 في الناحية الغربية بلاد الروسية وتنتهي في الشمال الى
 قطعة البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوفايا كما ذكرناه
 من قبل وفي الناحية الشرقية منه يتصل ارض القمانية على
 قطعة بحر نيطنش في الجزء السادس من الاقليم السادس
 وينتهي الى بحيرة طرمى (1) من هذا الجزء وهي عذبة ويتجلب
 اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي
 شمالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض البنارية من
 الترك الى آخره وفي الجزء السادس في الناحية الغربية
 الجنوبية متصل بلاد القمانية وفي وسط الناحية بحيرة
 عيون (2) عذبة يتجلب اليها انهار من الجبال في النواحي
 الشرقية وهي جامدة دائما لشدة البرد الا قليلا في زمن
 المصيف وفي شرقى بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان
 مبداءها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من
 الجزء الخامس منه وفي الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا

(1) Man. B. طرى D. طرفى.

(2) Man. C. عتون.

الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبداءها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر ائل العطفة الاولى الى الجنوب كما مرّ وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوفايا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجناك من امم الترك وكان مبداءها في الناحية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض بسحرت (1) ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء مشرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوفايا المحيط متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة في شرقها الارض المحفورة وهي من العجايب خرق عظيم في الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانها بالدخان في النهار واليران في الليل تضئ وتخفى وربما رى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب الهتاخمة للسدّ وفي آخر الشمال منه جبل قوفايا متصل من

(1) بسحرت. Lisez. سحرى. D. سحرت. B. سحرت. A. Man. (1)

الغرب الى الشرق وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الجانب الغربى منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يحوزها جبل
قوفايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في
الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمرّ معترضاً فيه وفي
وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي
الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج وراء جبل قوفايا
على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمرة البحر جميعه هذا آخر الكلام على
الجغرافيا واقليمها السبعة وفي خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقليم والمنحرف وتأثير
الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو
وسطه الى الجانب الشمالى لافراط الحرّ في الجنوب منه
والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادّين في البرد والحرّ وجب ان تتدرج الكيفيّة من
كليهما الى الوسط فيكون معتدلاً فالاقليم الرابع اعدل العمران

والذى حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنایع والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكوّن فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنایعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة (1) المنمّقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة الآلات والمواعين يذهبون فى ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون فى معاملاتهم بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف فى عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقين والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الافرنجة والجلالقة ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال فى جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب واقواتهم من الدرة والعشب

(1) Man. D. المتخذة من الحجارة.

وملابسهم من او راق الشجر يخصصونها عليهم او الجلود واكثرهم
عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مايلة
الى الانحراف ومعاملاتهم بغير التقدين الشريفين من نحاس
او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك
قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من
السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون فى الكهوف والغياض
وياكلون العشب وانهم متوحشون غير مستانسين وانهم
ياكلون بعضهم بعضا وكذلك الصقالبة والسبب فى ذلك
انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم (1)
من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار
ذلك وكذا احوالهم فى الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة
ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال
وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الداينيين
بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل
مالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الداينيين
بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به بالماية السابعة ومثل
من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والافرنجة والترك فى
الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقليم المنحرفة
جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم

(1) Man. C. احوالهم.

وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال
 البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود
 اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليامة وما اليها
 من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة
 العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما
 ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من
 اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحر وصار فيها بعض
 اعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم
 لديه بطبايع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح
 اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها فى لونه
 وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ولده حام
 قد وقع فى التورية وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان
 يكون ولده عبيد لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام
 غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها فى الهواء وفيما يتكون
 فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
 والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان
 الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما
 من الاخرى فتطول المسامنة عامة الفصول ويكثر الضوء
 لاجلها ويالج القيظ الشديد عليهم فتسود جلودهم لافراط
 الحر ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلها من الشمال الاقليم

السابع والسادس شمل سكانها ايضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقههم في دائرة مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينها الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية للنهاية في التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج هويتهم وتبعه من جانبه الخامس والثالث وان لم يبلغا نهاية التوسط لميل هذا قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالاول والثاني للحر والسواد والسادس والسابع للبرد والبياض وسمى سكان الجنوب من الاقاليم الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسما مترادفة على الامة المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بين تجاه مكة واليهن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود

لاحام ولا غيره. وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير لاحسادا حتى كسى جلودها سوادا
والصقلب (١) اكنست البياضا حتى فدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اما متفرقة واجيالا متعددة مسمين باسما متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة من اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد (٢) لديهم من المعاش والمساكن والصنایع والعلوم والرياسات والهلك فكانت فيهم النبوات والملل (٣) والدول

(١) Man. C. et D. اكنست. Man. D. ابیصاصا.

(٢) Man. C. et D. للاعتبار.

(٣) Man. A. et B. الملك.!

والشرايع والعلوم والبلدان والامصار واليهانى والغراسة والصنایع
الفايقة وسایر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم الذين وقفنا
على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل
واليونانيين واهل السند والصين ولما راي النسابون اختلاف
هذه الامم بسماتها وشعايرها حسبوا ذلك لاجل الانساب
فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا
فى الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل
الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة
وهم اهل الوسط (1) المنتحلون للعلوم والصنایع والملل والشرايع
والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف
الحق فى انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما
هو اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما آذاهم
الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع
بالانساب (2) فقط وليس كذلك فان التمييز للجيل او
للآمة يكون بالنسب فى بعضهم كما للعرب وبنى اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشان
والصقالبة والسودان ويكون بالعوايد والشعاير مع النسب كما
للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم

(1) Man. A. واسط.

(2) Man. A. et B. بالانساب.

فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

الهدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر

قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقرر في موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانى وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهى انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفسية للهواء والبخار مخالطة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية من التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتنفسي الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة

الهواء بارواهم فتستخت لذلك حدث لهم فرح وربما
انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي
اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة
ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل
الاقليم الرابع اشد حرارة (1) فتكون اكثر تفشيا فتكون
اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويحيى الطيش على اثر هذه
وكذلك يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية (2) لما كان
هواها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من اضواء بسيط
البحر واشتتته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد
نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجريدية من الاقليم
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في
الجنوب من الارياف والتلول واعتبر ذلك باهل مصر
فانها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريبا منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم
لا يذخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم من
اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق

(1) Man. C. et D. حرًا.

(2) Man. A. et B. المنخرقة.

الحزن وكيف افراطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم
ليذخر اقوات سنين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء
قوته ليومه مخافة ان يرزأ شياء من مدخره وتتبع ذلك
في الاقاليم والبلدان تجدد في الاخلاق اثرا من كيفيات
الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن
السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول
تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
وبعقوب بن اسحق الكندي ان ذلك لضعف ادمغتهم
وما نشاء عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له
ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب
والجوع وما ينشاء عن ذلك من الآثار في ابدان البشر
واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد له الخصب
ولا كل سكانها (1) في رغد من العيش بل فيها ما يوجد
لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه
لزكاء المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض

(1) Man. A. et B. ساكنها.

الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحم ومثل العرب الجايلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في الاحايين وتحت رقبة من حاميتها وعلى الاقلال لقلّة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى سدّ الخلة ودونها فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض ونجد مع ذلك هؤلاء الفاقيدين للحبوب والادم من اهل القفار احسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنتعمسين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم اثقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين واهل التلول يعرف ذلك من خبرة والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديّة ينشأ عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة

ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطى الرطوبات على الازدهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة فتجىء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك فى حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والمهى والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعى الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا فى صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضاها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر واليون بينهما ما رايت وما ذلك الا لاجل ان الخصب فى التلول فعل فى ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن فى خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك فى الادميين ايضا فانا نجد اهل الاقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة فى اذهانهم والخشونة فى اجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين فى الادم والحنطة مع المتقشفين فى عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هؤلاء احسن حالا فى عقولهم وجسومهم وكذلك اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين فى

الادم والبر مع الاندلس الهفقد بارضهم السمن جملة وغالب
عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقل وخبقة
الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الضواحي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضرة والامصار فان اهل
الامصار وان كانوا اكثرين مثلهم من الادم ومخصبين في
العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف (1)
بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة
ماكلهم لحمان الضائن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخفق
ما توديه لاجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسوم
اهل الامصار الطف من جسوم اهل البادية المخشنيين في
العيش وكذلك نجد المتعودين للجوع من اهل البادية
فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة واعلم ان
اثر هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة من ياخذ نفسه
بالجوع والتجاني عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة
من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في
المدن والامصار لها يعتمها من القساوة والغفلة المتصلة
بالاكثار من اللحمان والادم ولباب البر ويختص وجود

(1) Man. C. التلطف.

العباد والزهاد لذلك بالمتشقين في غذائهم من اهل
البادى وكذلك نجد حال المدينة الواحدة في ذلك
يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك
نجد هؤلاء المخصبين العيش المنغمسين في طيباته لا من
اهل البادية ولا من اهل الحاضرة والامصار اذا نزلت بهم
السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما
يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد
النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس
الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم
السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في
ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم رطوبة فوق رطوبتها
الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها فاذا خولف بها العادة
بقلة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف
من الغذاء اسرع الى المعاء اليبس والانكماش وهو عضو
ضعيف في الغاية ولهذا عدّ في المقاتل فيسرع اليه المرض
ويهلك صاحبه بسرعة فالهالكون في المجاعات انما قتلهم

الشبع المعتاد السابق لا الجوع اللاحق واما المتعودون للعيمة وترك الادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة وهي صالحة على جميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معاهم بتبدل الاغذية يبس ولا انحراف فيسلّمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الادم في الهائل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية وايلافها او تركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء ولايه تناوله كان له مألوفاً وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجملة كالسهوم واليتوع وما افراط في الانحراف فاملاً ما وجد فيه التغذى والهلاية فيصير غذاء مألوفاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الحنطة والحبوب حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسع عنهم في ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئاً صار من خلقها وجبيلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الأطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه

الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فحينئذ ينحسم (1) المعاء ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك وهذا التدريج ضرورى حتى فى الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدئ فى الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا فى دولة السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حسبنا انفسهما عن الاكل جملة من سنين (2) وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وراينا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم ثديها فى بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غداوة واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا تستكرن ذلك واعلم ان الجوع اصلح للبدن من اكار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرا فى الاجسام والعقول فى صفايها (3) وصلاحها كما قلنا واعتبر ذلك باثار الاغذية التى تحصل عنها فى الجسم فقد

(1) Man. C. et D. يتحسم. (2) Man. A. et B. سنين. (3) Man. A. et B. صفاها.

راينا المغتدين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان
تنشاء اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل
الحاضرة وكذا المغتدون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما
يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتفال والقدرة على حمل
الاثقال كما هو للابل وتنشأ معاهم ايضا على نسبة معا الابل
في الصحة والغلظ فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها
من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محبوبة كالحنظل قبل نضجه والدرياس
والفربيون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل
الحضر الرقيقة معاهم بما نشأت عليه من لطيف (1) الاغذية
لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السميّة
ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب الطبوخة في
بعر الابل واتخذ بيضها ثم حصنت عليه جاء الدجاج منها
اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب
بطرح ذلك البعر (2) مع البيض المحضن فتجىء
دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه
الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضا آثار
في الابدان لان الصئدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه

(1) Man. A. et B. لطف.

(2) Man. A. et B. البعض.

فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط به

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرواية

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عبادة يعرفونهم بمصالحهم ويحرصون على هدايتهم وياخذون بحجزاتهم عن النار وبدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من المعارف ويظهره على سنتهم من الخوارق الاخبار بوقوع الكاينات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصته وضرورة الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيظ كأنها غشى او اغماء في راي العين وليست منهما في شئ انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم

يتنزل الى المدارك البشرية اما بسمع دوى من الكلام
 فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من
 عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القى
 عليه قال صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الوحي احيانا
 ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عني وقد
 وعيت ما قال وحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكهنى فاعى
 ما يقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والغظ ما لا يعبر عنه
 ففى الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت
 عايشة كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم
 عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك
 قولا ثقيلًا ولاجل هذه الحالة فى تنزل الوحي كان المشركون
 يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأى او تابع من الجن
 وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن
 يصلل الله فيها له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم
 قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة الهذومات والرجس
 اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن
 الهذومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجبلته وفى الصحيح
 انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها
 فى ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره
 ودعى الى مجمع لوليمة وفيها عرس ولعب فاصابه غشى النوم

الى ان طلعت الشمس ولم يحضر مشياً من شأنهم بل نزهه
الله تعالى عن ذلك بجلبته حتى انه ليتنزه عن المطعومات
المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل
ولا الثوم ف قيل له في ذلك فقال انى اناجى من
لا تناجون وانظر لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم
خديجة بحال الوحي اول ما فجيئه وارادت اختباره فقالت
له اجعلنى بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب
عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب
النساء وكذا سألته عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال
البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة
والبياض من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر
والشياطين وامثال ذلك (ومن) علاماتهم ايضا دعائهم الى
الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت
خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك
ابو بكر ولم يحتاجا فى امره الى دليل خارج عن حاله
ونخلقه وفى الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبى
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد
ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان
فيما سأل ان قال بِمَ يامرکم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة
والصلة والعفاف الى آخر ما سأل واجابه فقال ان يكن ما

يقول حقا انه نبيء وسينملك ما تحت قدمي هاتين
والعفاف الذي اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة النبوة
ولم يحتاج الى معجزة فدل على ان ذلك من علامات
النبوة (ومن) علاماتهم ايضا ان يكونوا ذوى حسب في قومهم
وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي
رواية اخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين
وفي مسائلة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال
كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل
والرسل تبعث في احساب قومهم ومعناه ان تكون له
عصبية (1) وشوكة تمنعه من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات
ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملته (ومن) علاماتهم ايضا
وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي افعال تعجز البشر
عن مثلها فسميت معجزة وليست من جنس مقدور العباد
وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها
ودالاتها على تصديق الانبياء خلاف فالتكلمون بناء على
القول بالفاعل المختار قايلون بانها واقعة بقدره الله تعالى
لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم
الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

(1) Man. D. عصبية.

عند الجميع ألا التحدى بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل
بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فتنزل منزلة
القول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلالتها على
الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدى
ولذلك كان التحدى جزءا منها وعبارة المتكلمين صفة
نفسها وهو واحد. لانه معنى الذاتى عندهم والتحدى هو
الفارق بينها وبين الكرامة والسحر إذ لا حاجة فيهما الى
التصديق فلا وجود للتحدى الا وجد اتفاقا وان وقع التحدى
فى الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هى على
الولاية وهى غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره
وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدى
بالولاية وقد اربناك المغايرة بينهما وأنه يتحدى لغير ما
يتحدى به النبى فلا لبس على ان النقل عن الاستاذ ليس
صريحا وربما حمل على انكار ان يقع خوارق الانبياء لهم
بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه وأما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
افعال العباد وافعالهم معتادة فلا خارق وأما وقوعها على يد
الكاذب تلبيسا فهو محال أما عند الاشعرية فلان صفة
نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة واقول والتصديق كذبا

واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من
 فرض وقوع المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان
 وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله وأما
 الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير
 محل القدرة بناء على مذهبهم في الايجاب الذاتى ووقوع
 الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والاسباب
 الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات
 لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها
 صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له فى التكوين
 والنبي عندهم مجبول على التصريف فى الاكوان متى توجه
 اليها واستجمع لها بها جعل الله له من ذلك والخارق
 عندهم يقع للنبي كان التحدى او لم يكن وهو شاهد بصدقه
 من حيث دلالة على تصرف النبي فى الاكوان الذى
 هو من خواص النفس النبوية عندهم لا بانه يتنزل منزلة القول
 الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هي
 عند المتكلمين ولا يكون التحدى جزءا من المعجزة ولم يصح
 فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان
 النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر
 فلا يتم الشر بخوارقه والساحر على الضد فاعاله كلها شر وفي
 مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة

كصعود السماء والنفوذ في الأجسام الكثيفة وأحياء الموتى وتكليم
الملائكة والطيّان في الهواء وخوارق الوحي دون ذلك كتكثير
القليل والتحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر
عن تصريف الأنبياء ويأتي النبي بمثل خوارقه ولا يقدر هو
على مثل خوارق الأنبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبه
في طريقتهم ونقلوه عن مواجدهم (1) وإذا تقرّر ذلك فاعلم
ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم
المنزل على نبينا صلوات الله وسلامه عليه لأن الخوارق في
الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وتأتي المعجزة
شاهدة به وهذا ظاهر والقران هو بنفسه الوحي المدعى (2) وهو
الخوارق المعجز ودلالته في عينه ولا يفتقر الى دليل اجنبي
عنه كسائر الخوارق مع الوحي فهو اوضح دلالة لا تحاد
الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الأنبياء الا واوتي من الآيات ما مثله امن
عليه البشر وإنما كان الذي اوتيته وحيا اوحى اليّ فانا
ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يشير الى ان المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها
نفس الوحي كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثير المصدق
والمؤمن وهم التابع والامة والله سبحانه اعلم ويدلك هذا

(1) لقوة عن اخبرهم (1) Man. D.

(2) المدعى (2) Man. D.

كله على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرها من الكتب السماوية فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز فاختص الاعجاز بالقران وتلقيهم لكتبهم مثلها يتلقى نبينا المعاني التي يسنها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه ويشهد لتلقيه القران متلوا قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وسبب نزولها ما كان يقع له من بداره الى تدارس الآية خشية من النسيان وحرصا الى حفظ ذلك المتلو المنزل فتكفل الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون هذا هو معنى الحفظ الذي اختص به القران لا ما ذهب اليه العامة فاته بهزل عن المراد وكثير من الآي يشهد لك بانه نزل قرانا متلوا معجزا بسورة منه ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على دعوته لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فاعلم هذا وتذكره تجده صحيحا كما قررت لك وتامل ما يشهد لك به من ارتفاع

رتبه على الأنبياء وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم
(ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة) على ما شرحه كثير من
المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا ثم شأن العرافين وغير
ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله وإياك أنا
نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من
الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان
بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضى
عجايبه في ذلك ولا تنتهى غاياته وابدأ من ذلك
بالعالم المحسوس الجسماني واولا عالم العناصر المشاهد كيف
تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار
متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد ان يستحيل
الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد
منها الطف مما قبله الى ان ينتهى الى عالم الافلاك وهى
الطف من الكل وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على
هيئة لا يدرك الحسن منها الا الحركات فقط وبها يهتدى
بعضهم الى معرفة مقاديرها واطرافها وما بعد ذلك من
وجود الذوات التى لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم
التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على
هيئة بديعة من التدرج آخر افق المعادن متصل باول افق
النبات مثل الحشائش وما لا بزركه وآخر افق النبات مثل

النخل والكرم متصل باول افق الحيوان كالحلزون والصدف لم توجد لهما الا قوة اللبس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق من الذى بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه انتهى فى تدرج (1) التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القرودة الذى استجمع فيه الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك فى اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد فى العوالم على اختلافها آثارا متنوعة ففى عالم الحس آثار من حركة الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين آثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثرا مابيننا للجسام فهو روحانى ومتصل بالمكونات لوجود اتصال هذه العوالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة المحركة ولا بد فوقها من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا وتكون ذواته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون النفس استعدادا للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفى لمحة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون

(1) Man. A. et B. تدرج.

لها اتصال بالافق الذى بعدها شأن الموجودات المترتبة كما قدمناه فلها فى الاتصال جهتا العلو والسفل هى متصلة بالبدن من اسفل (1) منها ومكتسبة به المدارك الحسية التى تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلا منها بافق الملائكة ومكتسبة منه المدارك العلمية والغيبية فان علم الحوادث موجود فى ذواتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقوة بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان واثارها ظاهرة فى البدن وكأنه وجميع اجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك مترتبة ومرتقية الى القوة العليا منها وهى المفكرة التى يعبرون عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهر بالانه من البصر والسمع وسايرها ترتقى الى الباطن واوله الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها فى حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يوديه الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشئ المحسوس

(1) بالذى اسفل Man. C.

فى النفس كما هو مجردا عن الهواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين فى تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الوهية والحافظة فالوهية لادراك المعانى المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة ااب واقتراس الذنب والحافظة لايداع الهدرات كلها متخيلة وغير متخيلة وهى لها كالخزانة تحفظها الى وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين فى تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله للاخرى ومؤخرة للاخرى ثم يرتقى جميعها الى قوة الفكر وآله البطن الاوسط من الدماغ وهو القوة التى تقع بها حركة الروية (1) والتوجه نحو التعقل تتحرك النفس بها دائما بها ركب فيها من النزوع الى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذى للبشرية وتخرج الى الفعل فى تعقلها متشبهة بالملا الاعلى الروحانى وتصير فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهى متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنساح بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجبلة والفترة الاولى فى ذلك والنفوس البشرية فى ذلك على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع من الوصول الى الادراك

(1) الرويا. Man. D.

الروحاني فيقع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسيّة والخياليّة وتركيب المعاني من المحافظة الوهميّة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصوريّة (1) والتصديقيّة (2) التي للفكر في البدن وكلها خياليّ منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في الاغلب نطاق الادراك البشريّ الجسمانيّ واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدمهم وصفح متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحانيّ والادراك الذي لا يفتقر الى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشريّ ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك الاولياء اهل العلوم الدنيّة والمعارف الربانيّة وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصفح مفطور على الانسلاخ من البشريّة جملة جسمانيها وروحانيها الى الملكيّة من الافق الاعلى ليصير في لمحة من اللحاحات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفسانيّ والخطاب الآلهي في تلك اللمحة وهؤلاء هم

(1) Man. B. التصوريّة.

(2) Man. D. التصديقيّة.

الانبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوايقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرايزهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف (1) بتلك الوجهة وتشيع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسأخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الاعلى ما يتلقوه عاجوا به على المدارك البشرية متنزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسماع دوى كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى يلقى اليه رجلا فيكلمه ويعى ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كله كانه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعها فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي فى اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهى حالة الدوى هى رتبة الانبياء غير المرسلين على ما

(1) Man. A. et D. تكشف.

حقوقه والثانية وهي حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم لها سأله الحرث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وحيانا يتمثل لي الهلك رجلا فيكهنى فاعى ما يقول وانما كانت الاولى اشدّ لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسهل وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقى يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعوج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاول بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي فتمثلت الحالة الاولى بالدوى الذي هو في المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم والوعى يتبعه غب انقضايه فناسب عند تصوير انقضايه وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضى الهطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الهلك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعى فناسب العبارة بالمضارع

المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة قد اشار اليها القران قال تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً وقالت عايشة كان مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه لينفصد عرقاً ولذلك ما كان يحدث عنه فى تلك الحالة من الغيبة والغطيظ ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فتحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغط الذى عبر به فى مبدء الوحي فى قوله فغطى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما فى الحديث وقد يفضى الاعتياد فيه بالتدرج شيئاً فشيئاً الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القران وسورة وآياته حين كان بمكة اقصر منها وهو بالهدينة وانظر الى ما نقل فى نزول سورة براءة فى غزوة تبوك وانها انزلت او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل فى وقت وينزل الباقي فى حين اخر وكذلك كان من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهى ما هى فى

الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والهدنى من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (واما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مرّ ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء عليهم السلام بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة شئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضدّ عن ضده الكامل لانّ عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضدّ للاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذن اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبلّة فيكون بها بالجبلّة عند ما يعوقها العجز عن ذلك

تشبث بأمور جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة
وعظام الحيوان وسجع الكلام وما يسبح من طير او حيوان
يستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك
الانسلخ الذى يقصده ويكون كالمشيح له وهذه القوة التى
فيهم مبداء لذلك الادراك هى الكهانة وكون هذه النفوس
مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها فى
الجزئيات اكثر من الكليات وتكون متشبهة بها غافلة
عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم فى غاية
القوة لانها آلة الجزئيات فتتخذ فيها نفوذا تاما فى نوم
او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المتخيلة وتكون
لها كالمراءة تنظر فيها دايميا ولا يقوى الكاهن على الكمال
فى ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشياطين وارفح
احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذى فيه السجع
والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على
ذلك الاتصال الناقص فيهبس فى قلبه عن تلك الحركة
والذى يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه
فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر
اجنبى عن ذاته الهدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له
الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى
الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه

وتمويها على الساييلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهّان لأنهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهّان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين سأله كاشفا عن حاله بالاختبار كيف ياتيک هذا الامر فقال ياتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان النبوة خاصيتها الصدق فلا يعترها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبى بالملاء الاعلى من غير مشيخ ولا استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخلة فى ادراكه والتسبب بالادراك الذى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين السجع اخف من ساير المعينات من المرئيات والمسموعات ويدل خفة المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشئ (وقد) زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعمهم من خبر السما كما وقع فى القران والكهّان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من

ذلك دليل لأنّ علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلّق بخبر البعثة ولم يمنعوا ممّا سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأنّ هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرّح عند وجود الشمس لأنّ النبوة هى النور الاعظم الذى يخفى معه كل نور او يذهب (وقد) زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدى النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأنّ وجود النبوة لا بدّ له من وضع فلكى يقتضيه وفى تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التى دلّ عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه ناقصه وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا اما متعددا فاذا تمّ ذلك الوضع تمّ وجود النبىء بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شىء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكى يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فلعلّ الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئة الخاصّة ولو نقص بعض اجزائها

فلا يقتضى شيئا إلا أنه يقتضى ذلك لآثر ناقصا كما قالوه ثم إن هولاء الكهّان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبى ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدّ ممّا للنائم ولا يصدهم عن ذلك فى التكذيب إلا وسواس الهطامع بانها نبوة لهم فيقعون فى الغناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فإنه كان يطمع بان يكون نبيا وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الامانى آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدى وقارب بن الاسود وكان لهما فى الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (واما الرويا) فتحقيقها مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تستجرّد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقبس فيها علم ما تشوّف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جليّ عانيته بالمحاكاة والمثال فى الخيال لتحصيله فيحتاج من اجل تلك المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا تستغنى

فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من الخيال
والمثال والسبب في وقوع هذه اللحمة للنفس انهما ذات
روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركة حتى تصير ذاتها
تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية
مدركة بغير شئ من الآلات البدنية الا ان نوعها في
الروحانيات دون نوع الهلائكة اهل الافق الاعلى الذين لم
يستكملوا ذاتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذى
للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا (واما) الذى
للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية
المحصنة التى هي اعلا الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم
متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يعوج على المدارك
البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم
شبيها بينا وان كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه
عبر الشارع عن الرويا بانها جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وفي رواية ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد
في جميعها مقصودا بالذات وانما الهراء الكثرة في تفاوت
هذه الهراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهى للتكثير
عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من
ان الوحي كان في مبدئه بالرويا ستة اشهر وهى نصف سنة

ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه او لا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطرى لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عامًا في البشر فمعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذى هو جبلى لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه فى عالم الحق فتدرك فى بعض الاحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعل الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (واما) سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيوانى الجسمانى وهو بخار لطيف مركزة فى التجويف الايسر

من القلب على ما فى كتب التشريح لجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطى الحسّ
والحركة وسائر الأفعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده ويتمم أفعال القوى التى فى بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتفعل بهذا الروح البخارىّ وهى متعلقة
به بما اقتضته حكمة التكوين فى ان اللطيف لا يؤثر فى
الكثيف ولها لطف هذا الروح الحيوانى من بين المواد
البدنية صار محلاً لأنار الذات الهابنة له فى جسمانيته وهى
النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة فى البدن بوساطته وقد
كنا قدّمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو
الحواس الخمس وادراك فى الباطن وهو بالقوى الدماغية
وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها
من ذوات الروحانيات التى هى مستعدة له بالفطرة ولها
كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوهن والفشل
بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة
التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجدد الادراك
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيوانى من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحسّ الباطن
وبعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب
الحرارة الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهرة الى باطنه

فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن
ولذلك ما كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل
فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى
الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت
الى الصور التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل (1)
صورا خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من
المدرجات المتعاهدة قريبا ثم تنزلها الى الحس المشترك
الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس
الخمس وربما التفتت النفس لفتنة الى ذاتها الروحانية مع
منازعة القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحاني لاتها
مفطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت
متعلقة في ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصورة
الهدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في القوالب المعهودة
والمحاكاة من هذه هي المحتاجة الى التعبير وتصرفها
بالتركيب والتحليل في صور الحافظة (2) قبل ان تدرك
من تلك اللحظة ما تدرك هي اضغاث الاحلام وفي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث
رويا من الله ورويا من الملك ورويا من الشيطان وهذا
التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية

(1) Man. A. et B. التخيل.

(2) Man. A. et B. والصور الحافظة.

الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسببها (1) ويشيعها من النوم وهى خواص للنفس الانسانية موجودة فى البشر على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسى فقد رأى فى نومه ما صدق له فى يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة الغيب فى النوم ولا بد واذا جاز ذلك فى عالم النوم فلا يمتنع فى غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة فى كل حال والله الهادى الى الحق (فصل) ووقوع ما يقع من ذلك للبشر غالبا انها هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانها تكون النفس مستشرفة للشئ فتقع لها تلك اللحمة فى النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع فى كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء تذكر عند النوم فيكون عنها الرويا فيما يتشوق (2) اليه ويسمونها الحالومة ذكر منها مسلمة فى كتاب الغاية حالومة سماها حالومة الطباع التام وهى ان يقال عند النوم وبعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهى تماغس بَعْدان يَسْوادّ وَغَداس نَوْفناغادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسئل عنه فى النوم

(1) Man. A. et B. يشبها.

(2) Man. A. et B. يتشوق.

وحكى ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في ماله
 وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسئل
 واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء
 مرء عجيبه واطلعت بها على امور كنت اتشوف اليها من
 احوالى وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرويا
 يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس
 لوقوع الرويا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب لحصول ما
 يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب
 ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد
 غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
 امثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم انا نجد في النوع
 الانساني اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة
 فيهم يتميز فيها صنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون في ذلك
 الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما
 نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها
 وذلك مثل العرافين والنظارين في الاجسام الشقافة كالمرايا
 وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوان واكبادها
 وعظامها واهل الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالحصى
 والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم
 الانسان لا يسع احدا جحدها ولا انكارها وكذلك المجانين

تلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لأول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن لان نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس الانسانية كيف تستعدّ لادراك الغيب فى جميع الاصناف التى ذكرناها (وذلك) انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التى يتم بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهى توجد اولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل به صاحبة البدن وما يعودها بورود مدركاته المحسوسة عليها وما تتزعج هى من تلك الادراكات من المعانى الكلية فتتعقل (1) الصورة مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهولى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد الصبى فى اول نشوءه لا يقدر على

(1) Man. A. تتفعل. C. تغفل. D. تعقل.

الادراك الذى لها من ذاتها لا فى نوم ولا بكشف ولا
 بغيرهما وذلك صورتها التى هى عين ذاتها وهى الادراك
 والتعقل لم تتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تهت
 ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من
 الادراك ادراك بآلات الجسم توديه اليها المدارك البدنية
 وادراك بذاتها من غير واسطة وهى محجوبة عنه بالانغماس
 فى البدن والحواس وشواغلها لان الحواس ابدأ جاذبة لها
 الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسماني
 وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن
 لحظة اما بالخاصية التى هى للانسان على الاطلاق مثل
 النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
 او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ
 الى الذوات التى فوقها من الملاء الاعلى لها بين افقها
 وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قرناها قبل وتلك
 الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها
 صور الموجودات وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شئ من
 تلك الصورة. وتقتبس منها علما وربما دفعت تلك الصور
 المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم تراجع
 الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو
 شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبى ولنرجع الى ما

وعدنا به من بيان اصنافه (فأما) الناظرون فى الاجسام
الشفافة من المرايا والطساس والمياه وقلوب الحيوان واكبادها
وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل
الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه فى اصل خلقهم لان الكاهن
لا يحتاج فى رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء
يعانونه بانحصار المدارك الحسيّة كلها فى نوع واحد منها
واشرفها البصر فيعكف به على الهوى البسيط حتى يبدو له
مدركه الذى يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه
هو فى سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون
فى سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم
وبين المرآة حجاب كأنه غمام تتمثل فيه صور هي مدركاتهم
فتشير اليهم بالمقصود فيها يتوجهون الى معرفته من نفى
او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه (واما المرآة)
وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال
وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى
ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى
للحس (1) كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين فى
قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين فى الماء والطساس وامثال
ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس بالبخور فقط

(1) Man. A et B. الحسى.

ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر عما ادرك ويزعمون انهم يرون الصور ^{مشخصة} في الهواء تحكى لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالهال والاشارة وغيبة هولاء من الحس اخق من الاولين والعالم ابو الغرايب (واما الزجر) وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سماع طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحدس والفكر فيما زجر فيه من مرئ او مسوع وتكون قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بها راء او سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس الهري في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرويا (واما المجانين) فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف الروح الحيوانى فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس ولا منغمسة فيها بها شغلها في نفسها من الم نقص ومرضه وربما زاحها على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه التخبط فاذا اصابه ذلك التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس في ذاتها او لما زاحه من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه (1) جملة

(1) Man.D. جسه.

فادرك لمحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجي الكذب في هذه المدارك (واما العرافون) فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا) تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقا ولا اصابه ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق من انمار بن نزار وطيح من مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة

ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما رويًا ربيعة بن نصر
وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من
بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا رويًا الموبدان
التي اولها سطيح لها بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان منهم في العرب كثير وذكروهم في اشعارهم
فقال

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا شفاك الله والله مالنا بها حملت منك الصلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق
الاسدي (ومن) هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس
عند مفارقة اليقظة والتباسة بالنوم من الكلام على الشيء الذي
يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع
ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب
الاختيار في الكلام فيتكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان
يسمعه وبفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
روسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن

بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بها يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دنّ مملؤ بدهن السهم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤن راسه فيخرج من ذلك الدهن وحين يجفّ عليه الهواء يجيب عن كل شئ يسأل عنه من عواقب الامور الخاصّة والعامة وهذا فعل من مناكير افعال السحرة لكن تفهم منه عجائب العالم الانساني (ومن) الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبى بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلوّثت (1) بها النفس وذلك يحصل بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحسّ وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات (ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية) يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند ويسهون

(1) Man. C. et D. تلوّثت.

هناك الجيوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة
والاخبار عنهم في ذلك غريبة (واما المتصوفة) فرياضتهم
دينية وعربية من هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع
الهمة والاقبال على الله بالكليّة لتحصل اذواق العرفان
والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فيها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت
النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت
عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة
الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون
مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة
فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على الغيب
واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم
من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون
بوجهتهم العبود لا لشيء سواه وان حصل اثناء ذلك ما
يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا
عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول
ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من
التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بنكير في حقهم وقد
ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وابو محمد بن

ابى زيد المالكى فى اخرين فرارا من التباس المعجزة
بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو
كاف وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايح معروفة تشهد بذلك فى مثل قول عمر
رضى الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا
على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط
مع المشركين فى معترك وهم بالانهزام وكان بقربه جبل
يتحيز اليه فرجع (1) لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر
بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراى
شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثلها ايضا لابي بكر
فى وصيته عايشة ابنته رضى الله عنها فى شأن ما نحلها (2)
من اوسق التمر من حديقته ثم نهبها على جدادة لتحوزه
عن الورثة فقال فى سياق كلامه وانما هما اخوك واختاك
فقلت انما هى اسهاء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت
خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع (3) فى الهوطا فى باب
ما لا يجوف من النحل ومثل هذه الوقايح كثيرة لهم ولمن بعدهم
من الصالحين واهل الاقتداء الا ان المتصوفة يقولون انه يقل

(1) Man. A. B. et D. فوق.

(3) Man. D. رفع.

(2) Man. C. يحلها. A. et B. يحلها.

فى زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حاله بحضرة النبى حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء الى الهدينة النبوية سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله تعالى يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هولاء المریدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشئ فيطلقون كلامهم فى ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شئ من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتیه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فان الله تعالى يخصصهم بما شاء من مواهبه وهولاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذى يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهى علوم ضرورية للانسان يستند بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر فى قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود

الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش
ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة
على شئ من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما
يلتبس حال هولاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة
ويستحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها ان
هولاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر
وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم
التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم
يخلقون على البله من اول نشوئهم والمجانين يعرض لهم
الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض
لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها
كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على
اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا
فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب
(فصل) وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب من
دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القايلون بالدلالات
النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك واثارها في العناصر
وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من
ذلك المزاج الى الهواء وهولاء المنجمون ليسوا من
الغيب في شئ انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية

على التأثير النجومى وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد
الحدس يقف به الناظر على تفصيله فى الشخصيات فى
العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك فى
محلّه ان شاء الله تعالى ولو ثبت فغايتة حدس وتخمين
وليس مما ذكرناه فى شىء (ومن) هولاء قوم من العامة
استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها
خط الرمل نسبة الى المادّة التى يضعون فيها عملهم ومحصل
هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب
تختلف باختلاف مراتبها فى الزوجية والفردية واستوايها فيها
فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها او
افرادا فشكلا وان كان الفرد فيها فى مرتبة واحدة فقط فاربعة
اشكال وان كان الفرد فى مرتبتين فستة اشكال وان كان
فى ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
ميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شأن
الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكانها
البروج الاثنى عشر التى للفلك والاوتاد الاربعة وجعلوا لكل
شكل بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من عالم العناصر
يختص به واستنبطوا من ذلك فتا حاذوا به فنّ النجامة
ونوع قضايه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات
طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما دلالاتها وضعيّة وذلك

ان بطليموس انما تكلم في المواليد والقرانات التي هي عنده من آثار الكواكب والابوضاع (1) الفلكية في عالم العناصر وتكلم المنجمون من بعده في المسائل استخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام ذلك البيت النجومية وهي التي ذكرها بطليموس واعلم ان الضماير امور نفسية ليست من عالم العناصر فليست من آثار الكواكب ولا الابوضاع الفلكية ولا دلالة لهما عليها نعم ان صار لفن المسائل مدخل في صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والابوضاع الا انه في غير مدلوله الطبيعي فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والابوضاع استعصا (2) بالمعانة والارتفاع بالآلات وتعديل الكواكب بالحسبان واستخرجوا هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر بيتا من بيوت الفلك واوتاده ونوعوها الى سعد ونحس وممتزج شأن الكواكب السيارة واقتصروا على التسديس من المناظرة ونزلوا الاحكام النجومية عليها كما في المسائل لان دلالة كل منهما غير طبيعيه كما قدمناه وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وشتفوا فيها التصانيف المحصلة لقواعدها واصولها كما فعله الزناتي منهم وغيره (وقد) يكون من اهل هذه الصناعة من يتعرض بها لادراك الغيب باشغال

(1) Man. A. et D. اوضاع.

(2) Man. A. استعصا.

الحسّ بالنظر فى اشكال تلك الخطوط فيعتريه حالة الاستعداد كما يعترى المفطورين على ذلك كما نذكره بعد وهؤلاء اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة فى العالم وربما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليها شأن الصنایع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان بنى يخط فمن وافق خطه فذاك وليس فى الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعضهم لان معنى الحديث كان نبى يخط فياتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة فى ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فانهم صلوات الله عليهم متفاوتون فى ادراك الوحي قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من ياتيه الوحي ويكلمه الهلك ابتداء من غير طلب والوجهة ولذلك ومنهم من يتوجه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال آتته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجه وجهة ربانية يتعرض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطى التقسيم هنا قسما اخر ان وجد لان الوحي قد يكون وهو لا يستعد له بشئ من الاحوال كالذى ذكرناه وقد يكون وهو مستعد ببعض الاحوال كما نقل فى الاسرائيلات ان بعض الانبياء كان يستعد لنزول الوحي

بسماع الاصوات الطيبة المأخوذة وهذا النقل وان لم يكن
 متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فالله تعالى يخص انبياءه
 ورسله بما شاء (نسخة) وقد نقل لنا ذلك عن بعض الكبار
 من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغنا يتجرد
 بذلك لهداركه في مقامه دون النبوة وما منا الا له مقام
 معلوم) واذا تقرر ذلك وقد كنا قدّمنا ان في اصحاب خط
 الرمل من يتعرض للكشف به باشغال الحس بالنظر في
 تلك الخطوط والاشكال فيعتبره حينئذ الادراك الغيبى
 الوجدانى (1) بالنفّغ عن الحس جملة ويفارق المدارك البشرية
 الى المدارك الروحانية وقد مر تفسيرهما وهذا من الكهانة
 من نوع النظر في العظام والهيأة والمرايا بخلاف من يقتصر
 في ذلك منهما على الامر الصناعى الذى يحصل به على
 الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية
 بعد جايدا في مرامى الظنون فقد يكون شأن بعض الانبياء
 الاستعداد بالخط في مقامه النبوى لخطاب الملك كما
 يستعدّ به من ليس بنبي للادراك الروحانى ومفارقة
 المدارك البشرية الا ان ادراكه روحانى فقط وادراك النبى
 ملكى بالوحى من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط
 فى مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبياء منها فانهم

(1) Man. B. الوجدان.

لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اى فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبى الذى كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط او تكون الاشارة بذلك الى تعظييه وعلو شأنه في اتخاذ خطوط الرمل بل لا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذى كان النبى يستعد به للوحي فياتى على وفاقه واما اذا اخذ ذلك عن الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه وهذا معنى الحديث والله اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية خط الرمل ولا جواز انتحاله لتعرف الغيب كما هو شأن اهله فى المدن وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل النبى شريعة متبعة فيكون مشروعاً على مذهب من يرى ان شرع من قبلنا شرع لنا وليس هذا بيطابق لذلك فان الشرع انما هو للرسول المشرعين للامم والحديث لم يدل على ذلك وانما دل على ان هذه الاحالة تحصل لبعض الانبياء ويحتمل ان يكون غير مشروع فلا يكون ذلك شرعاً لا خاصاً بامته ولا عاماً لهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة تقع لبعض الانبياء خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا آخر ما اردنا تحقيقه هنا والله الهلهم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط

سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مراتب فتجئ ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجا ويضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان او فردا فى مرتبة على الترتيب فتجئ اربعة اشكال يضعونها فى سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذى بازيه وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة فى سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع فى كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة فى العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهى كما رايت تحكم وهوى والتحقيق الذى ينبغى ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين

على الرجوع عن عالم الحسّ الى عالم الروح ولذلك سمي المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخطّ وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها اشغال الحسّ لترجع النفس الى عالم الروحانيات لخطه فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهذر من القول والعمل والله يهدى من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبى انهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعترتهم خروج عن حالتهم الطبيعيّة كالنشاوب (1) والتمطط ومبادئ الغيبة عن الحسّ ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات فليس من ادراك الغيب من شئ وانما هو ساع في تنفيق كذبه (فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانيّة ولا من الحدس المبنى على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظنّ والتخمين الذي يحاول عليه

(1) Man. A. النشاوب.

العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالهصيد لاهل العقول
المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع
به الخواص (فمن) تلك القوانين الحساب الذي يسمونه
حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب
لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين
من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدها
بحساب الجمل المصطاح عليه في حروف ابجد من
الواحد الى الالف آحاد وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت
الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الاخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منها تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية
هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان
كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب
الاقل منهما الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا
فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين
فالمطلوب هو الغالب ونقل هنالك بيتين في هذا العمل
اشتهرا بين الناس وهما

ارى الزوج الاقراء يسموا قلها واكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا

معروفاً بندهم في طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالة على الواحد و(ى) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(ش) الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على الاثنين في الآحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي (بكر) ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة (جلش) وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش . بكر . جلش . دمت . هنت . وضخ . زغد . حفظ . طضع + مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة (ايقش) والاثنان لكلمة (بكر) والثلاثة لكلمة (جلش) وكذلك الى التاسعة التي هي (طضع)

فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا لسكل
حرف منه فى اى كلمة من هذه الكلمات واخذوا عددها
مكانه ثم يجمعون الاعداد التى ياخذونها بدلا من حروف
الاسم فان كانت زايدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها
ولا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون
بين الخارجين بما قدمناه والسر فى هذا القانون بين
وذلك ان الباقي فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح
تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل
مرتبة فصارت اعداد العقود كلها كأنها آحاد فلا فرق بين
الاثنين والعشرين والهائين والالفين وكلها اثنان وكذلك
الثلاثة والثلاثون والثلاثماية والثلاثة الاف كلها ثلاثة فوضعت
الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت
الحروف الدالة على اصناف العقود فى كل كلمة من الآحاد
والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها
نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات
اوالمئين اوالالوف فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف
التى فيها وتجتمع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل
المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من
لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى
تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون فيها الطرح

بتسعة مثل ما يفعلون بالآخرى سواء وهى هذه ارب + يسفك x جزلط x مدوص x هف x تحذن x غش x خع تضط x تسع كلمات على توالى العدد وفيها الثلاثى والرابعى والثناى وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب فى هذه المعارف من النجامة والسيما واسرار الحروف وهو ابو العباس ابن البنا ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات فى طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش فالله اعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك الغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب النيم غير معزوا الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك فتصفح ان كنت من اهل الرسوخ (ومن) هذه القوانين الصناعيّة لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرة الهسامة زايرة العالم المعزوة الى ابى العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان فى آخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من ملوك الموحيدين وهى غريبة العمل صنعية وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب منها بعلمها المعروف الهلغوز فيحرصون لذلك على حل رمزه وكشف غامضه لذلك وصورتها التى يقع العمل عندهم فيها دايرة عظيمة فى داخلها دواير

متوازية منها للافلاك وللعناصر وللمكونات وللروحانيات
ولغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم؛ وكل دائرة مقسومة
باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل
قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار على كل وتر حروف
متتابة موضوعة فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد
عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب لهذا العهد ومنها
برشوم العبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدواير اسماء
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدواير جدول متكثر
البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين
بيتاً في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب
خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا
القسمة التي عيّنت (1) البيوت العامرة من الخالية وحفافي
الزايرجة ابينات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة
تتضمن صورة العهل في استخراج المطلوب من تلك
الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والسجلاء
وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من
علماء اهل اشبيلية كان في الدولة اللهتوية ونص البيت

(1) Man. A. et B. عنت.

سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن غريب غرايب شك ضبطه الجمد مثلا وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى آخره والاعداد المرسومة بينها ويصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشراتها الى الهين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في اس البرج واسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول

المراتب ثم يضربونه فى عدد آخر يسمونه الأس الأكبر والدور
الأصلى ويدخلون بما يجتمع لهم من ذلك فى بيوت
الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة
ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم
فى حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف
السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة
يسمونها الأدوار ويخرجون فى كل دور الحرف الذى ينتهى
عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعينه عندهم لذلك
فتخرج آخرها حروف متقطعة وتولف على التوالى فتصير
كلمات منظومة فى بيت واحد على وزن البيت الذى
يقابل به العمل ورويته وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم
حسبا نذكر ذلك كله فى فصل العلوم عند كيفية العمل
بهذه الزايرة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهافتون على
استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون ان ما وقع
من مطابقة الجواب للسؤال فى توافق الخطاب دليل على
مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك ان
الغيب لا يدرك بأمر صناعى البتة وإنما المطابقة التى
فيها بين الجواب والسؤال من حيث الأفهام والتوافق فى
الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما وموافقا للسؤال
ووقع ذلك بهذه الصناعة فى تكسير الحروف المجتمعة

من السؤال والابوتار (1) والدخول في الجدول بالاعداد
المجمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج
الحروف من الجدول واطراح اخرى ومعاودة ذلك في
الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على
التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
تناسب بين هذه الاشياء فتقع له معرفة المجهول منها
فالتناسب بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من
المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل
الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر
وقد مر لك تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله
ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة (2) العجيبة
والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما فيما
يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا
يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالا
اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت
فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق

(1) Man. A. et B. الاوتاد.

(2) Man. A. et B. المعايات.

بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم يجيء بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك ان ينكر ما ليس في طوقه ادراكه ويكفيها في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا مزية فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء وحدس واذا كان كثير من الهعانة (1) في العدد الذي هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فما ظنك مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها (فلنذكر) مسألة من الهعانة (2) يتضح لك بها شئ منها ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم طيورا بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة فجوابه ان تقول هي تسعة لانك

(1) Man. A. et C. المعايات. B. المعاياة. (2) Man. A. et C. المعايات. B. المعاياة.

تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان
 عدّة اثمان الواحد ثمانية فكانت جمعت الثمن من كل درهم
 الى الثمن من الاخر فكان كله ثمن طائر فهي ثمانية طيور
 عدّة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائرا اخر وهو المشتري
 بالفلوس الهاخوذة اولا وعلى سعرة اشترت بالدراهم فتكون
 تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمّر بسرّ
 التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي
 اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى
 لا ييكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى
 يخرج مجهولها من معلومها وهذا انها هوفى الواقعات
 الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم
 نعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عنه فهو غيب
 لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة فى
 هذه الزايرجة كلها انها هى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ
 السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من
 تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسرّ ذلك انها هو
 من تناسب بينهما يطالع عليه بعض دون بعض فمن عرف
 ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
 القوانين والجواب يدلّ فى مقام اخر من حيث وضوع
 الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفى السؤال من نفى او

اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة الكلام لها في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات

فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعيتهم

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهن من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون (1) على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاحي والكمالي فمنهم من ينتحل الفلاح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز والنحل والدود للقر لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القاييون على الفلاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح

(1) Man C. et D المتعاون.

للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفن إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدةة وتعاونوا في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتائق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحصن ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجئ عوايد الترف البالغة مبالغها في التائق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالات البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها ولانتهاء في الصنایع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صروحها وتنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمهنتهم من لبوس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنایع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما و ارفه من اهل البدو لان

احوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد
تبين ان احوال البدو والحضر طبيعياً لا بد منها كما قلناه

فصل فى ان جيل العرب فى الخليفة طبيعى

قد قدّمنا فى الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون
للمعاش الطبيعى من الفلاح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون
على الضرورى فى الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال
والعواید ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجى او كمالى
فيتخذون البيوت من الشعر او الوبر او الشجر او من الطين
والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكنّ لا ما وراءه
وقد يآوون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولونها
بيسير العلاج او بغير علاج البتة الا ما مسته النار فمن كان
معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به اولى
من الظعن وهؤلاء سكان الهدائر والقرى والجبال وهم عامّة
البربر والاعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل البقر والغنم
فهم ظواعن فى الاغلب لارتباد المسارح والمياه لحيوانهم اذ
التقلب فى الارض اصالح بها ويسمون شاوية ومعناه
القايمون على الشاء والبقر ولا يبعدون فى
القفور لفقدان المسارح الطيبة به وهؤلاء مثل البربر والترک
واخوانهم من التركمان والصقالبة (واما) من كان معاشهم

فى الابل فهم اكثر طعنا وابعد فى القفر مجالا لان مسارج
 التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى به الابل فى قوام حياتها
 عن مرعى الشجر فى القفر وورود مياهه المالحه والتقلب
 فصل الشتاء فى نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه
 وطلبا لمفاحص النتاج فى رماله اذ الابل اصعب الحيوان
 فصالا ومخاضا واحوجها فى ذلك الى الدفء فاضطروا
 الى ابعاد النجعة وربما ذادتهم الحامية عن التلول ايضا
 فاوغلوا فى القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعداوتهم
 فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا من اهل الحواضر
 منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوانات
 العجم وهؤلاء هم العرب وفى معنائهم طواعن البربر وزياتة
 بالمغرب والاكرد والتركيهان والترک بالمشرق الا ان
 العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على
 الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد
 تبين لك ان جيل العرب طبيعى لا بد منه فى العمران
 والله الخلاق العليم

فصل فى ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية
 اصل العمران والامصار ومدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضرورى فى احوالهم

العاجزين عما فوقه وان الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال فى احوالهم وعوايدهم ولا شك ان الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه وكان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشى عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لان اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الترف والكمال الا اذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البداوة قبل رفه الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه (1) منها ومتى حصل على الرياش الذى تحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه من قياد المدينة وهكذا شأن اهل القبائل المبتدئة كلهم والحضرى لا يتشوف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته (ومما) يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بضاحية ذلك المصر وفى قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك يدل على ان احوال الحضارة ثانياً عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربى حتى اعظم من حتى

(1) Man. C. مفرجة.

وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر
عمرانا من مدينة وقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار واصل لها كما ان وجود المدن والامصار
من عوايد الترف والدعة الذي هو متأخر عن عوايد الضرورة
المعاشية

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة
لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
ينصرانه او يمجسانه وبقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين
تبعد عن الاخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن
الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا
عوايده واهل الحضرة لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف
والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم
طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى
لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة في احوالهم فنجد الكثير
منهم يقذعون في اقوال الفحشاء في مجالسهم وبين

كبرائهم واهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة لما
 اخذتهم به عوايد السؤ في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً
 واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم لا انه في
 المقدار الضروري لا في الترف ولا في شئ من اسباب
 الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم في معاملاتهم على
 نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السؤ ومذمومات
 الخلق بالنسبة الى اهل الحضرة اقل بكثير فهم اقرب الى
 الفطرة الاولى وابتعد عما ينطبع في النفس من سؤ الهلكات
 بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج
 الحضرة وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية
 العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير
 فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة
 والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في
 حديث البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الأكوع
 وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على
 عقبك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول
 الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره
 ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان

اهل مكة يمتهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في
الظهارة والحراسة ما لا يمتس غيرهم من بادية الاعراب وقد
كان المهاجرون يستعيدون بالله من التعرب وهو سكنى
البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص عند مرضه
بمكة اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم
ومعناه ان يوقفهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا
عن هجرتهم التى ابتدوا بها وهو من باب الرجوع على
العقب فى السعى الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك
كان خاصا بما قبل الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا
وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة
حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قيل
سقط انشاؤها ممن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها ممن
اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجتمعون على انها بعد الوفاة
ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ فى الآفاق وانتشروا
ولم يبق الا فضل السكنى فى المدينة وهو هجرة فقول
الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبك
تعربت نعى عليه فى ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء
المأثور الذى قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وقوله
تعربت الى انه صار من العرب الذين لا يهاجرون واجاب

سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعى عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل فما اثره به واختصه الا لمعنى عليه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم لا تهيجهم هيفة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وربيت على ذلك منهم اجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على ابي مئاهم حتى صار ذلك خلقا لهم
يتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم
في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتبازهم عن الاسوار
والابواب قايهون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى سواهم
ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دايمًا يحملون السلاح ويتلقون (1)
عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الا غرارا
في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب يتوجسون للنبأة
والهيئات (2) وينفردون في القفر والبيداء مدلين بباسهم واثقين
بانفسهم قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون
اليها متى دعاهم داع او استفزهم صارخ واهل الحضرمها
خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون
معهم شأ من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في
معرفة النواحي والجهات وموارد الماء ومشارع السبل وسبب
ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوايده ومالوفه
لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي الفه من الاجوال حتى صار له
خلقًا وملكة وعادة تنزل (3) منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك
في الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو
الخالق العليم

(1) Man. D. يلتفتون.

(2) Man. D. الصعاب.

(3) Man. C. تنزل.

فصل فى ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم
ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء
المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان
يكون للانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة
وعادلة لايعانا منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها
مدلين بما فى انفسهم من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع
حتى صار لهم الادلال جبلة لهم لا يعرفون سواها واما اذا كانت
الهلكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم
وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاثر فى النفوس المضطهدة
كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضى الله عنهما عن مثلها
لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم
القادسية فقتله واخذ سلبه فانتزعه منه سعد وقال هلا (1) انتظرت
فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر
تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك
ما بقى من حزبك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر
سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلية
لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة

(1) Man. A. B. et C. الا.

التي تكسر من سورة بأسه بلا شكّ وأما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بآسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشدّ بأسا منهم تاخذة الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التاديب والتعليم في الصنایع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدافعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فتفهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا تستنكرون (1) ذلك بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشدّ الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعه فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعتى ولا تاديب تعليمى إنما هي احكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون انفسهم بها بما رسخ فيهم من عقايد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تخدمها اظفار التاديب والحكم

(1) يستنكرون. B. يستنكرون. Man. A. et D.

قال عمر رضى الله عنه من لم يودبه الشرع ولا آدبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه ويقينا بان الشارع اعلم به صالح العباد (ولها) تناقص الدين فى الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما يؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم ونخسده (1) الشوكة منهم بمعاناتها فى وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال ابو محمد بن ابى زيد فى كتابه احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان فى التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضى واحتج له بعضهم بما وقع فى حديث بدء الوحي من شأن الغظ وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغظ ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

(1) Man. B. حصد. C. خصل. D. حصد.

فصل فى ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب فى طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل فى مرعى عوايده ولم يهذب به لاقتداء بالدين وعلى ذلك الجرم العفير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الى ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجرد ذا عفة فلعلته لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدى من تحتهم من الكافة ان يهتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذى من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه زياد الحماية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة (واما) احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بها وقر فى نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حللهم فانما يذود عنها من خارج حامية الحى من انجادهم وفتيانهم

المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نعة كل احد على نسبه وعصيته اهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعة على ذوى ارحامهم وقرباهم موجود فى الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القران عن اخوة يوسف حين قالوا لابي له لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له واما المنفردون فى انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعة على صاحبه فاذا اظلم الجوّ بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقتدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك فى السكنى التى تحتاج الى المدافعة والحماية فبمثلها يتبين لك فى كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما فى طباع البشر من الاستعصاء ولا بد فى القتال من العصبية كما ذكرناه انفا فاتخذة اماما تقتدى به فيما غورده عليك من بعد والله الموفق

فصل فى ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او
ما فى معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعى فى البشر الا فى الاقل
ومن صلتها النعرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم
ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد فى نفسه غضاضة
من ظلم قريبه او العداة عليه ويودّ لو يحول بينه وبين ما
يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعىة فى البشر
مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريبا
جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة
فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض
الشئ فربما تنوسى بعضها وتبقى منه شهرة فتحميل على
النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة
التي يتوهبها فى نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه
(ومن) هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل
ولايه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتصام جارها او
قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل
الحممة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريبا منها
ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايدته

هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة
والنصرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمى
لا حقيقة له ونفعه له انما هو فى هذه الوصلة والالتحام
فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة
كما قلناه واذا كان انما استفاد من الخير البعيد ضعف فيه
الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو
المنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار
من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه عن النفس وانتفت
النعمة التى تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه والله
تعالى اعلم

فصل فى ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين
فى القفر من العرب ومن فى معانهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشطف الاحوال
وسوء الموطن حملتهم عليها الضرورة التى عينت لهم تلك
القسمة وهى بما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش فى القفر لرعيها من
شجرة ونتاجها فى رماله كما تقدم والقفر مكان الشطف
والسغب فصار لهم الفا وعادة وربيت فيها اجيالهم حتى

تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهبهم
 في حالهم ولا يأنس بهم احد من الاجيال بل لو وجد
 واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما
 تركه فيومن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها
 ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من
 قريش وكنانة وثقيف وبنى اسد وهذيل ومن جاورهم من
 خزاعة لما كانوا اهل شطف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع
 وبعثوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب
 كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط
 ولا عرف فيها شوب (واما) العرب الذين كانوا في التلول في
 معادن الخصب للمراعى والعيش من حمير وكهلان مثل
 لخم وجدام وغسان وطى وقضاعة وايد فاختلفت انسابهم
 وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف
 عند الناس ما تعرف وانها جاءهم ذلك من قبل العجم
 ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم
 وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب
 ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من
 قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياض من
 الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى الخصبة فكثرت
 الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام

الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند
العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب
امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى
عرفوا بها وصارت لهم علامة زايدة على النسب يتميزون
بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط فى الحواضر مع العجم
وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من
العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل وذررت فدثرت
العصبية بدثورها وبقي ذلك فى البدو كما كان والله وارث
الارض ومن عليها

فصل فى اختلاط الانساب كيف يقع

انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل
نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قومه
بجناية اصابها فيدعى بنسب هولاء ويعدّ منهم فى ثمراته
من النعمة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت
ثمرات النسب فكأنه وجد لانه لا معنى لكونه من هولاء او من
هولاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم
انه قد يتناسا النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم
به فيخفى على الاكثر فما زالت الانساب تسقط من شعب
الى شعب ويلتحم قوم باخرين فى الجاهلية والاسلام والعرب

والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المنذر وغيرهم تتبين
شيئا من ذلك (ومنه) شأن بجيلة في عرفجة بن هرثمة
لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيف
اي دخيل ولصيق وطلبوا ان يولى عليهم جريرا فسأله عمر
عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل
من الازد اصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه
كيف اختلط عرفجة ببجيلة. ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم
حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايجه
ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجملة وعد
منهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سر الله في خليقته
ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

فصل في ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون
في غير نسبهم

وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالغلْب والغلْب انما
يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرئاسة على القوم ان
تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل
عصبية منهم اذا احست بغلبة عصبية الرئيس لهم اقرروا
بالادعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون
له عصبية بالنسب انما هو ملصق نزيف وغاية التعصب له

بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وان
فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من
الاتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة
قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما
تكون متناقلة فى منبت واحد يعين له الغلب بالعصبية
فالاولية التى كانت لهذا الملتصق قد عرف فيها التصاقه
من غير شك ومنعه ذلك الاالصاق من الرياسة حينئذ
فكيف تنقلت عنه وهو على حال الاالصاق والرياسة لا بد
وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب
بالعصبية (وقد) يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل
والعصايب (1) الى انساب يلحقون (2) بها انما لخصوصية
فضيلة كانت فى اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم
او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون
بالدعوى فى شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من
القدح فى رياستهم والطعن فى شرفهم وهذا كثير للناس
فى هذا العهد (ومن ذلك) ما تدعيه زناتة جملة انهم من
العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى
عامر احدى شعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد
منهم لحق جدتهم بنى عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط

(1) Man. A. et B. العصبية. (2) Man. A. et B. يلمحون. C. يلمحون.

بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي (ومن) ذلك ادعاء بنى عبد القوى بن العباس من توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابي عبد القوى ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين (وكذلك) ما يدعيه ابناء زيان ملوك بنى عبد الواد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم منهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتي ايت القاسم اى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الدوران في الادارسة فتوهموا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد (فلقد) بلغنى عن يغمراسن بن زيان موئل سلطانهم

انه لها قيل له ذلك نكرة وقال بلغته الزناتية ما معناه اما
 الدنيا والملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في
 الآخرة فمردود الى الله واعرض عن المتقرب اليه بذلك
 (ومن) هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بنى يزيد من
 زغبة انهم من ولد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وبنو
 سلامة شيوخ بنى يذللتن من توجين انهم من سليم وكذا
 الذواودة شيوخ رياح انهم من اعقاب البرامكة وكذلك
 بنو مهنا امرأ طى بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من
 اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم فى قومهم مانعة
 من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل يعين ان يكونوا من
 صريح ذلك النسب واقوى عصبته فاعتبره واجتنب
 المغالطة فيه ولا يجعل من هذا الباب الحساق مهدى
 الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت
 الرياسة فى هرغة قومه واما رأس عليهم بعد اشتهاره بالغلم
 والدين ودخول قبائل المضامدة فى دعوته وكان مع ذلك
 من اهل الغنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

فصل فى ان البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لاهل

العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى

البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافا مذكورين يكون
له بولادتهم اياه والانتساب اليه تجلّة في اهل جلدته لما
وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس
في نشوهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس
معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بيّنا ان ثمرة
الانساب وفايدتها انما هي العصبية للنصرة والتناصر فحيث
تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها ذكي محمي
تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف
من الاباء زايدها في فايدتها فيكون الحسب والشرف اصيلا
في اهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتتفاوت البيوت في
هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرّها ولا يكون للمنفردين
بين اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهمة فنحرف
من الدعاوى ولذا اعتبرت الحسب في الامصار وجدت
معناه ان الرجل منهم يعدّ سلفا في خلال الخير ومخالطة اهله
مع الركون على العاقبة ما استطاع وهذا مغاير لسرّ العصبية
التي هي ثمرة النسب وتعدد الاباء لكنّه يطلق عليه حسب
وسيت بالمجاز بعلاقة ما فيه من تعدد الاباء المتعاقبين على
طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى
الاطلاق (وقد) يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم

ينسأخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار
ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به
انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها
في شئ لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار
الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون
بذلك واكثر ما رسخ الوسواس لذلك لبنى اسرائيل فانه
كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولا لما
تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه
السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية
ثانيا وما اتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم
انسأخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب
عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر آفا من
السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون
هذا هرونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا
من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ
احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين في
انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان (وقد غلط
ابو الوليد ابن رشد في هذا لها ذكر الحسب في كتاب
الخطابة من تالخيص كتب العلم الاول فقال والحسب هو
ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لهما

ذكرناه وليت شعري ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم عصابة يهرب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من توثر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقى في امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليفة والله بكل شئ عليم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدّمنا الآن ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بسهم فى تلك العصبية ولبسوا جلدتها كانتها عصبيتهم وحصل لهم من

الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقي او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته نافع له في تلك العصبية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها (1) فيصير من هولاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبه في ولايته واصطناعه لا يتجاوزة الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الهوالى في الدول والخدمة كلهم فانهم اتما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها لا تبرى الى موالى الترك في دولة بنى العباس والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا العجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها اتما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولايتها والاصالة في اصطناعها ويصحح نسبة الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به في اصلته

(1) Man. A. 3 et B. عصبيتها.

PROLÉOMÈNES
d'Elm-Khaldoun.

ومجده وأما المعبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سر العصبية
التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من شرف
مواليه وبيته من بنائهم (1) فلم ينفعه نسب الولادة وأما بناء
مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية
وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبية ودولة فاذا ذهبت
وصار ولاه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب
عصبية وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ
المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت
النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول
اعتبار وان كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة
واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس به النفوس
الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه واكرمكم عند
الله اتقاكم

فصل في ان الحسب في العقب الواحد اربعة آباء

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كايين فاسد لا من ذواته
ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع
الحيوانات الانسان وغيره كايين فاسدة بالمعينة وكذلك ما
يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم

(1) Man. A. et B. بياتهم.

تدرس وكذلك الصنایع وامثالها والحسب من العوارض
التي تعرض للادميين فهو كاي فاسد لا محالة وليس يوجد
لاحد من اهل الخليقة شرف متصل في آبايه من لدن
آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
كرامة به وحيطة على الشرفية (1) واول كل شرف خارجة كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال
وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق
عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء من
عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنايه
ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقايه وابنه من
بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذة عنه الا انه
مقصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعين ثم اذا
جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر
عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم
واحتقرها وتوهم ان ذلك البيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر واجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم
وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس
ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب

(1) السرفيه Man. A. B. C.

فقط فيرباء بنفسه عن اهل العصبية ويرى الفضل عليهم
وثوقا بما روى فيه عن استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك
لاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم ولاخذ بمجامع
قلوبهم فيحتقرهم لذلك فينتقصون (1) عليه ويحتقرونه
ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروع في
غير ذلك العقب للاذعان بعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق
بما يرضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتذوى فروع الاول
وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا
انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب
ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز (واشترط) الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب
والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد
يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط
وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر
له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في
نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه
وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ في المجد وفي

(1) Man. B. ينتقصون. D. ينتقصون.

التورية ما معناه انا الله ربك طابق غير مطالب بذنوب
الآباء للبنين على الثوالت وعلى الروابع وهو يدل على ان
الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب (ومن) كتاب
الاغانى فى اخبار عؤيف القوافى ان كسرى قال للنعمان هل
فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شئ
قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه روساء ثم اتصل ذلك
بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده
الا فى آل حذيفة بن بدر الفزارى وهم بيت قيس وآل
حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت
شيبان وآل الأشعث بن قيس من كندة فجمع هؤلاء الرهط
ومن تبعهم من عشائيرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام
حذيفة بن بدر ثم الأشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم
بسطام ابن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس
بن عاصم وخطبوا ونشروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح
لموضعه وكانت هذه البيوتات هى المذكورة بالشرف فى
العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الديان من بنى
الحرث بن كعب بيت اليمن وهذا كله يدل على ان
الاربعة آبا نهاية فى الحسب والله اعلم

فصل فى ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا فى الشجاعة كما قلناه فى المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما فى ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد تختلف احواله فى ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياف وتبنكوا النعيم والفوا عوايد الخصب فى المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك فى الحيوانات العجم فى دواجن الطباء والبقر الوحشية والحمير اذا زال توحشها بمخالطة الادميين وانصب عيشها كيف يختلف حالها فى الانتهاض والشدة حتى فى مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس والى وسببه ان تكون السجايا والطبايع انما هو عن المألوفات والعوايد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعسرق فى البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا فى العدد وتكافا فى القوة والعصابة وانظر فى ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة الموطنيين ارياف العراق ونعيمه لها بقى مضر فى بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى

نصب العيش وغضارة النعيم كيف ارفقت البداوة حدّهم في التغلب فغلبوهم على ما في ايديهم وانتزعوهم منهم وهكذا حال بنى طى وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تاخروا في باديتهم عن ساير قبائل مضر واليمن ولم يلتبسوا (1) بشيء من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حتى من العرب يلي نعيما وعيشا نصبوا دون الحق الاخر فان الحق المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافا في القوة والعدد سنة الله في خلقه

فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قدّمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدّمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة اتما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع

(1) يكتسبوا. Man. C. et D.

ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب
 للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها
 متبوعا فالتغلب الملكي غاية العصبية كما رايت ثم ان
 القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات
 متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها
 وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة
 كبرى والا وقع الاقتراق المفضى (1) الى الاختلاف والتنازع
 ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ثم)
 اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها
 التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافاتها
 او مانعتها كانوا اقنالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على
 حوزتها وقومها شان القبائل والامم المفترقة في العالم وان
 غلبتها او استتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة في التغلب
 الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية
 الاولى واجد وهكذا دائما حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان
 ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة
 اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها
 وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن
 ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل

(1) Man. A. et B. المقتضى.

العصبيّات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما
يعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد
وهو كما وقع للترك في دولة بنى العباس ولصنهاجة وزناتة
مع كتامة ولبنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلويّة
والعباسيّة فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبيّة وانها اذا
بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد
او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
وان عاقها عن بلوغ الغاية عوايق كما نبينه وقفنت في
مكانها الى ان يقضى الله بامرہ

فصل في ان من عوايق الملك حصول الترف وانغماس
القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيّتها بعض الغلب
استولت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب
في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصّة
بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من
القوة بحيث لا يطع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها
فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يستوعون من
نعمتها وبشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ
من منازع الملك ولا اسبابه انما همهم النعيم والكسب وخصب

العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ
بمذاهب الملك في المباني والملابس الاستكثار من ذلك
والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو
اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية
والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسط وينشأ بنوهم
واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم
وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن ساير الامور الضرورية في
العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية
فيتاذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرفهم
على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في
النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت
العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتهمتهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوايق
الملك والله يؤتى ملكه من يشاء

فصل في ان من عوايق الملك حصول المذلة للقبيل
والانقياد لسواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية
وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رؤموا

للمدلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة
 فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك
 في بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك
 الشام واخبرهم ان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا
 عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
 حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من قدرته
 غير عصبيتنا ويكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم
 عليهم ليجوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك
 فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن
 المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما يوتر في تفسيرها
 وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما ريموا من الذل
 للقبط احقبا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم
 يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم
 وان العمالة الذين كانوا باريجا فريستهم بحكم من الله قدره
 لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم
 من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من الهذلة وطعنوا فيما
 اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه
 وهو انهم اقاموا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر
 اربعين سنة لم ياءوا فيها لعمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القران
 لغلظة العمالة بالشام والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن

مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآيه ومفهومها ان
حكمة ذلك التيه مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والفوه وتخلقوا به وافسد من عصبيتهم
حتى نشاء في ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام
والقهر ولا يسام بالمدلة فنشأت لهم بذلك عصبية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك
ان الاربعين سنة اقل ما يتأتى فيها فناء جيل ونشاة جيل
اخر سبحان الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شأن
العصبية وانها التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية
والمطالبة وان من فقدها عجز عن جميع ذلك

ويلتحق بهذا الفصل فيما يوجب المدلة للقبيل شأن المغارم
والضرايب

فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمدلة
فيه لان فى المغارم والضرايب ضيما ومدلة لا تحتملها النفوس
الابية الا اذا استهونته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ
ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبيته لا تدفع
عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له
الانقياد للذل والمدلة عايقة كما قدمناه ومنه فى الصحيح
قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحرث لما رأى سكة

المحراث في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرب موجب للذل هذا الى ما يصحبه ذل الهغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيز من المغرب فسئل عن ذلك فقال ان الرجل حدث فكذب ووعده فاخلف (فاذا) رايت القبيل بالهغارم في ربة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناثة بالمغرب كانوا شاوية يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استثبت (1) لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا مقالة شهربراز (2) ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لها اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصفوى معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بها تحبون ولا تذلوننا بالجزية فتوهوننا لعدوكم فاعتبر هذا فيها قلناه فانه كافي

(1) Man. C. استثبت. D. استثبت.

(2) Man. C. شهربراز. D. شهرنزار.

فصل فى ان من علامات الهلك التنافس فى الخلال الحميدة وبالعكس

لها كان الهلك طبيعياً للانسان لها فيه من طبيعة الاجتهاد
كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر
باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لانّ البشر انها جاءت من
قبل القوى الحيوانية التى فيه واما من حيث هو انسان فهو
الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من
حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن
خلال الخير فيه وهى التى تناسب السياسة والملك اذ
الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل
ينبنى عليه وتتحقق به حقيقته وهو العصبية والعشير وفرع
يتم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الهلك غاية العصبية
فهو غاية لفروعها ومتمماتها وهى الخلال لانّ وجوده دون
متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عريانا بين
الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال
الحميدة نقصا فى اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل
الملك الذى هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا
فالسياسة والملك هو كفالة للخلق وخلافة لله فى العباد
فى الاحكام واحكام الله فى خلقه وعبادة انما هى بالخير

ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واوضح مبنى فقد تبين ان خلال الخير شهادة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا الى اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعمو عن النزلات والاحتمال من غير القادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على الهكارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجاني عن الغدر

والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبيهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات والمراتب لعصبيتهم فعلنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقال الى ان يخرج الملك من بين ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيما عليهم في سلب ما كان الله قد اتاهم من الهلك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتتبع في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسومناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال الكمال الذي تتنافس فيه القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبية والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم حبل العشير

والعصبية وبيشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم الكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء ممن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايه واکرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كما في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للحاجة اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغرباء من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تاذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل اهل الهلك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايتهم قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب وارتقب زوال الهلك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له

فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزياتة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل اللثام من صنهاجة وايضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجأحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاوره من البلاد ولا يقفون عند حدود افقهم بل يظفرون (1) الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر رضى الله عنه لما بويج وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك ابن الطراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التى وعدكم الله فى الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحمير كيف كانوا يخطون فيها نقل من اليمن الى المغرب مرة وإلى الهند والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب

(1) يظفرون. D. يظفرون. Man. A. et B.

من الأمم وكذا حال الهلثيين بالمغرب لما نزعوا الى الملك
ظفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه فى جوار السودان الى
الاقليم الرابع والخامس فى ممالك الاندلس من غير واسطة
وهذا شأن هذه الأمم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع
نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله مقدر الليل والنهار

فصل فى ان الهلك اذا ذهب عن بعض الشعوب من
أمة فلا بد من عودة الى شعب آخر منها ما دامت
لهم العصبية

والسبب فى ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة
الغلب والاذعان لهم من ساير الأمم سواهم فيتعين منهم
الهابشرون للامر الحاملون لسيرير الملك ولا يكون ذلك
لجميعهم لها هم عليه من الكثرة التى يضيق عنها نطاق
الهزاحة وللغيرة التى تجدد انوف كثير من المتطاولين للرتبة
فاذا تعين اولئك القايمون بالدولة انغمسوا فى النعيم وغرقوا
فى بحر الترف والنصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم فى وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين
بعدوا عن الامر وكبجوا عن المشاركة فى ظل من عز الدولة
التى شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف
واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وابد غصراهم الهرم

وطختهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارفق من
النعيم من حدهم واشتفت غريزة (1) الترف من مائهم وبلغوا
غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي
كدود القزيسج ثم يفتنى بهركز نسيجه فى الانعكاس

وكانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر
محفوفة وشارتهم فى الغلب معلومة فتسمو آمالهم الى الهلك
الذى كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم
وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر
ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقى ايضا منتبذا عنه
من عشاير اتمهم فلا يزال الملك ملجا فى الامة الى ان
تنكسر سورة العصبية منها او تفتنى ساير عشايرها سنة الله
فى الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما
وقع فى الامم لها انقرض ملك عاد قام من بعدهم اخوانهم
من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم اخوانهم
من حمير ومن بعدهم اخوانهم التباينة من حمير ايضا ومن
بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس
انقرض امر الكينية فهلك من بعدهم الساسانية حتى
تاذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب

(1) Man. B. عزيزة. C. عريرة. D.

لما انقرض امر مغراوة وكتامة الهلوك الاول منهم رجع الى
صنهاجة ثم الملمثيين من بعدهم ثم المضامدة ثم من بقى
من شعوب زناتة وهكذا سنة الله فى عباده وخلقه واصل
هذا كله انما يكون بالعصبية وهى متفاوتة فى الاجيال
والملك يخلقه الترف ويذهبه كما سنذكره بعد فاذا انقرضت
دولة فانها يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم
التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع
العصبيات وذلك انما يوجد فى النسب القريب منهم
لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب
التي هى فيه او بعد حتى اذا وقع فى العالم تبديل كبير
من تحويل ملّة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته
فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذى تآذن
الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمصر حين غلبوا على
الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا
مكبوحين عنه احقابا

فصل فى ان المغلوب مولع ابدا بالاقْتداء بالغالب فى شعاره
وزيّه ونحلته وسائر احواله وعوايده

والسبب فى ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها
وانقادت اليه اما لنظرة بالكمال بها وقرعنها من تعظيمه

او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعىّ انها هو
لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادا
فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاقتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس
بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلته من العوايد والهذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك
ترى الهلوب يتشبه ابدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه
فى اتخاذها واشكالها بل وفى ساير احواله وانظر ذلك
فى الابناء مع اباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايبا وما
ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
كيف يغلب على اهله زى الحامية وجند السلطان فى
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور
اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا الشبه
والاقتداء حظ كبير كما هو فى الاندلس لهذا العهد مع امم
الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم
والكثير من عوايدهم واحوالهم حتى فى رسم التماثيل فى
الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك
الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلاء والامر لله وتامل فى
هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابه اذ الهلك
غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه

اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بعلماهم والله العليم الحكيم

فصل فى ان الامة اذا غلبت وصارت فى ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء

والسبب فيه والله اعلم ما يحصل فى النفوس من التكاثر
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقصر الامل ويضعف والتناسل والاعتمار انما هو من
حدة الامل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعو اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص
عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومسايعهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين
لكل متغلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم
من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر آخر وهو ان
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى جعل له
والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزة تكاسل
حتى عن شبع بطنه ورى كبده وهذا موجود فى اخلاق
الاناسى ولقد يقال مثله للحيوانات المفترسة وانها لا تسافد
اذا كانت فى ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المهلوك
امرء عليه فى تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء

والبقا لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت
 قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب
 بقى منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى من
 وراء المداين فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة
 وثلاثون الفا رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب
 وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودرثوا كان لم يكونوا
 ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة
 الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان
 اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يدعن للرق
 في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من
 عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في
 ربة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك
 بالمشرق والمعلوجا من الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان
 العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما
 يؤملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وعيث
 ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون
 الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة (1) والمحاربة الا اذا

(1) مزاحفة. D. مراجعة. B. مزاحفة. A. Man.

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة عن عيثهم وفسادهم لانهم لا يتستمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها يفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

فصل في ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشيّة باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية لل عمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا حاجتهم اليه لنصبه اثنافي للقدور فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب او الملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرّب العمران وايضا فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والتمن والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همتهم (1) ما ياخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اعراض المفسد وربها فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجبابة والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمعنى في دفع المفسد وزجر المتعرض

(1) همهم. C. همهم. A. et B. همهم.

لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال العزم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعميران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرياسة وقل ان يستلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباة او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدّد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابى الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانهم واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمين قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها ثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقا بها وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمراننا يشهد بذلك آثار العمران فيه

من العالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)

دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين

على الجملة

والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
في الرياسة فقل ما تجتمع اهاوهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين الهدب للغظة والانفة الوازع عن التحاسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
وياخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لاطهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والهلك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبراتها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعاونة المتهى لقبول الخير ببقاياه على الفطرة الاولى وبعده
عيا ينطبع في النفس من قبيح العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man. B et D. صيغة. C.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الهلك

والسبب في ذلك انهم اكثر بدواة من ساير الامم وابعدهم
مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم
الشطف وحشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبيّة التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
ملكتهم وترك مراغمتهم ليلا يختل عليه شأن عصبته فيكون
فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الهلك والسلطان تقتضى
ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة
والتجاني عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على الهفاسد في الاموال حرصا
على تكثير الجبايات وتحصيل الفوايد فلا يكون ذلك
وازعا وربما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على الهفاسد
واستهانة ما يعطى من ماله في جانب عرضه فتنمو الهفاسد
بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى
مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران

ويخرب سريعا شأن الفوضى كما قدّمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة (1) دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيّد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم لما راي المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل غير كبدى يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انه للخلفاء وهم من جيلهم ولها ذهب امر الخلافة وامتحا رسهما انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليه العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم انهم كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد من الامم في الخليفة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في

(1) صفة. C. صيغة. Man. B. et D.

الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم عهد بالسياسة لما
نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى
الغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته الا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله خير الوارثين

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فصل فى ان البوادرى من القبائل والعصايب مغلوبون
لاهل الامصار

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر
والامصار لان الامور الضرورية فى العمران ليس كلها موجودا
لاهل البدو وانما يوجد لديهم وفى مواطنهم امور الفلاح
وموادها معدومة ومعظمها الصنایع فلا يوجد لديهم بالكلية من
تجار وخبياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفلاح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة
لديهم وانما بايدىهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان
اوفضلاته البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل
الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى
الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم فى الحاجى
والكفاى فمهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى بطبيعة
وجودهم فيها داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء

على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ومتصرفون في
مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان
كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك
وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رياسة ونوع
استبداد من بعض اهلها على الباقيين والا انتقض عمرانها وذلك
الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحها اما طوعا
ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون اليه من
الضرورات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تهت
قدرته على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له
فريق منهم يغالب به الباقيين فينظر الاخرين الى طاعته
بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم ورتبا لا يسعهم مفارقة
تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل النواحي والجهات
معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوا من غيرهم فلا يجد
هؤلاء ملجاء الا طاعة الهصر واهله فهم بالضرورة مغلوبون
لاهل الامصار والله القاهر فوق عباده لا رب غيره ولا معبود
سواه

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين) وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والهلك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قررنا في الفصل الاول ان المغالبة
والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة
والتدمير واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك
منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية
والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا
وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع الهنازعة
وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع
الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور
بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدول منذ
اولها وطال امد مراهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد
جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب
الدولة قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء
عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من
اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس
في نسيان هذه العصبية واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب

عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصايب والله
قادر على ما يشاء

فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى
عن العصبية

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على
النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للخرابة وان
الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه
واحدا بعد اخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت
النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة
الرياسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس
معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا
حينئذ في امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من
الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا امر ما يوضع الكلام في الامامة آخر
الكلام في العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما
بالموالى والمصطنعين الذين نشؤا في ظل العصبية (1) وغيرها واما
بالعصايب الخارجين عن نسبها الداخليين في ولايتها ومثل

(1) غيرها. Man. A. B. D.

هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت
لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهاهم بعد ذلك
انما كان بالموالى العجم والترک والديلم والساجوقية وغيرهم
ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة
فلم يكن تعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها
وصارت الخلايف فى حكمهم ثم انقرض امرهم وملك
الساجوقية من بعدهم فصاروا فى حكمهم ثم انقرض
امرهم وزحف اخر الططر فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة
وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ الماية الخامسة
او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية
وبجاية والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور
من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع
ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء
الموحدون بقوة قوية من العصبية فى المصامدة فمحو آثارهم
وكذا دولة بنى امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من
العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها
وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم
على ما كان فى ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع
الدولة العباسية فتلقبوا بالقباب الملك ولبسوا شاراته وامنوا
ممن ينقض ذلك عليهم او بغيره لان الاندلس ليست بدار

عصايب ولا قبائل كما سنذكره واستمر لهم ذلك كما
قال ابن شرف

مها يزهدي في ارض اندلس اسما معتصم فيها ومعتصد
القاب مملكة في غير موضعها كالهز يحكى انتفاخا صورة الاسد

فاستظهروا على امرهم بالهوالى والمصطنعين والطرء على
الاندلس من ارض العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم
اقتداء بالدولة في آخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت
عصبية العرب استبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول
عظيمة استبد كل واحد فيها بجانب من الاندلس وحظ كبير من
الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزلوا في سلطانهم
ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من
لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر
على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فهذه العصبية يكون
تمهيد الدولة وحمايتها من اولها (وقد ظن الطرطوشى ان
حامية (1) الدول باطلاقهم الجند اهل العطاء المفروض مع الالهة
ذكر ذلك في كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه
لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص
بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدول عند هرمها

(1) حاشية D. حياية Man. A. et B.

وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالهوالى والصنایع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوايف وذلك عند اختلال دولة بنى امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان فى ايالة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبية شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثاية من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا ينازع فيه ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشى القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى انه قد تحدث لبعض اهل النصاب الملكى
دولة تستغنى عن العصبية

وذلك انه اذا كان لعصبية غلب كبير على الامم والاجيال وفى نفوس القاييين بامرهم من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزة اشتملوا عليه وقاموا بامرهم وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد

دولته يرجون استقرارة في نصابه وتناوله الامر من يد اعياصه ولا يطمعون في مشاركته في شى من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحکم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلو راموا معه او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدى آل العباس بعد ان استحکمت الصبغة لبنى عبد مناف لبنى امية اولا ثم لبنى هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقاموا بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاروية ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشيّدوا دولتهم ومهدوا بعصايبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظلّ الدولة يتقلص وظلّ العبيديين يمتدّ الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلاميّة شقّ الابلّمة وهؤلاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مذعنون لملكهم وانما كانوا ينافسون في الرتبة ضدّهم خاصّة تسليما لما حصل من صبغة الملك لبنى هاشم ولما استحکم من الغلب لقريش ومضر على ساير الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى

انقراض دولة العرب بأسرها والله يحكم لا معقب
لحكمه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها
الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما
يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب
وتاليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقت ما في الارض جميعا ما آلت بين قلوبهم وسرّة
ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا
حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق
ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها
فذهب التنافس وقيل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد
واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدول كما نبين
لك بعد

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة
على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدّمناه ان الصبغة الدينية تذهب
بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة

الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى امرهم لم يقف لهم شىء لان الوجهة واحدة والى المطلوب متساو عند جميعهم وهم مستيتون عليه واهل الدولة التى هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فان اغراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدّمناه وهذا كما وقع للعرب فى صدر الاسلام فى الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا فى كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا فى دولة لمتونة ودولة الموحيدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير مما يقاومهم فى العدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجتماع الدينى ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شىء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر وبصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فيغلب الدولة من كان تحت يدها من العصاب المكافية لها او الزيادة القوة عليها الذين غلبتهم بهضاعفة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها او اشدّ بداءة واعتبر هذا فى

الموحدين مع زناتة لما كان زناتة ابدا من المصامدة واشد
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا
صبغتها وتضاعف قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة اولا
واستتبعوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة اشد منهم
فلما حالوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناتة
من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه والله غالب على
امره

فصل فى ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بد
له من العصبية وفى الحديث كما مر ما بعث الله نبيا
الا فى منفعة من قومه واذا كان هذا فى الانبياء وهم اولى
الناس بخرق العوايد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له
العادة فى الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسى
شيخ المتصوفة وصاحب كتاب خلع النعلين فى التصوف
ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين
قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا بشغل ليهتونة بما
دهمهم من امر الموحدين ولم يكن هناك عصايب ولا قبائل
يدفعونه عن شانه فلم يلبث حتى استولى الموحدون على
المغرب ان اذعن ودخل فى دعوتهم بايعهم من معقله

بحسن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين (ومن) هذا الباب احوال الثوار القايمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعيين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والتهلبسون بهم من الغوغاء والدهما ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من ورايها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصايب والعشائر وهم المويّدون من الله لو شاء لا يدهم بالكون كله لكنه انما اجري الامور بحكمته على مستقر العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدر ان تعوقه العوايق وينقطع

به الهلاك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانتته والاحلاص له
والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد
حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطاء المامون بخراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلی بن موسى الرضى من آل
الحسين فكشف بنو العباس وجه النكير (1) عليه وتداعوا للقيام
وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدى فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدى الدعارة بها
من الشطار والحربيّة على اهل العافية والصون وقطعوا
السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانيّة
في الاسواق واستعدا اهلها الحكّام فلم يعدوهم فتوامر اهل
الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديّتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الدعارة وغلبهم
واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل (ثم) قام من بعده رجل
اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصارى
ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا في عنقه ودعا الى الامر
بالمعروف النهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه

(1) Man. D. التكبّر.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khalidoun.

فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضع من بنى هاشم
فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد
ومنع كل من اخاف (1) المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار
وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له
سهل لكى اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من
كان وذلك سنة احدى ومايتين وجهز ابراهيم بن المهدي
اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريرا وذهب ونجا
بدا نفسه (ثم) اقتداه بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين
ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون فى
اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم ومآل احوالهم
والذى يحتاج اليه فى امره هولا اما المداواة ان كانوا من اهل
الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا
واما اذاعة (2) السخرياء منهم وعدهم فى جملة الصناعين (3)
(وقد) ينتسب بعضهم الى الفاطمى المنتظر اما بانه هو او
داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمى ولا ما
هو واكثر المنتجلين لمثل هذا نجدهم موسوسين او مجانيين
او ملبسين (4) يطلبون بمثل هذا الدعوى رياسة امتلاءت
بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشى من اسبابها

(1) Man. A. et B. اضاف.

(3) Man. A. et C. D. الصباغين.

(2) Man. C. ازاغة.

(4) Man. C. D. ملبسين.

العادية فيحسبون ان هذا من لاسباب البالغة بهم الى ما
يؤملونه من ذلك ولا يحتسبون ما ينالهم من الهلكة فيسرع
اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لاول هذه الماية خرج بالسوس رجل من المتصوفة
يدعى التويزرى عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر
هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة
هنالك بما ملاء قلوبهم من الحدثنان بانتظاره وان من
ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهافت عليه طوائف من
عامة البربر تهافت الفراش ثم خشى رؤسائهم اتساع نطاق
الفتنة فدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوى من
قتله فى فراشه (وكذلك) خرج فى غمارة لاول هذه الماية
ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى واتبع
نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى
بادس من امصارهم فدخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من
ظهور دعوته ومضى فى الهاكين الاولين وامثال ذلك كثير
والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية فى مثلها واما ان
كان التلبيس فاجرى ان لا يتم له امر وان يبوء باثمه وذلك
جزاء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها

والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القايمين بها
الممهدين لها لا بدّ من توزيعهم حصصا على الممالك والثغور
التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت
العصائب كلهم على الثغور والممالك فلا بدّ من نفاذ
عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا للدولة
وتخما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد
ذلك زيادة على ما بيدها بقى دون حامية وكان موضعا
لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما
كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددهم فى توزيع الحصص
على الثغور والنواحي بقى فى الدولة قوة على تناول ما وراء
الغاية حتى ينفسح نطاقها الى غايته والعلّة الطبيعيّة فى
ذلك ان قوة العصبية هي من ساير القوى الطبيعيّة وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشأنها ذلك فى فعلها
والدولة فى مركزها اشدّ مما تكون فى الطرف والنطاق واذا
انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وقصرت عمّا

وراء شأن الأشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدواير المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان يتاذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تصححل لوقتها فان المركز كالقلب الذي ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف (وانظر) هذا في الدولة الفارسية فان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقى بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون على الشام تحجزوا الى مراكزهم بالقسطنطينية ولم يضترهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان تاذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراء من السند والحبشة والافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والشعور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات اقتصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

تلك الحدود ومنها تراجت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها
وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة
القايمين بها في القلّة والكثرة عند نفاذ عددهم بالتوزيع
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على
نسبة القايمين بها في القلّة والكثرة

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل
العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها
ويقتسمون عليها فما كان من الدول العامة قبيلها واهل
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر مهالك واوطانا وكان ملكها
اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لها الف الف الله
كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك
آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرين (1)
الف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم
منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي
الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزير فاستبيح حمى
فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم
والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس

(1) عشرة آلاف. Man. C. et D.
Томъ XVI. — I^{re} Partie.

وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليهن الى الترك
 باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة (ثم) انظر بعد
 ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما
 كان قبيل كتامة القايمين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة
 ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فهلكوا افريقية والمغرب
 والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما
 كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك
 الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم
 (ثم) اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بنى
 مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم
 اكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع
 نطاقا وكان لهم عليها الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد
 بنى مرين لاول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف وان عدد بنى عبد
 الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرّفه وكثرة التابع كثرت من
 اعدادهم وهى على هذه النسبة فى اعداد المتغلبين لاول
 الملك يكون اتساع الدولة وقوتها (واما) طول امدها ايضا
 فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج
 الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج
 تابعا لها وكان امد العهر طويلا والعصبية انما هى بكثرة العدد
 ووفرة كما قلناه والسبب الصحيح فى ذلك ان النقص

انما يبدا الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المتبذون بالاندلس ولم ينتقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معد المعز امر افريقية لبلكين بن زيري سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة القايمين بها سنة الله التي قد خلت في عبادة

فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعضايب قل
ان تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل راي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها

منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذى كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الفرنجة شيا وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنى عشر مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب والقبائل الحامل لهم على عدم الازعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دهماء (1) اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعه من ايديهم لم يبق ممانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم بادية واهل عصايب وعشاير وكلها هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلف والردة فطال امر العرب فى تمهيد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك

(1) Man.A. et B. وهما.

كان الامر بالشام لعهد بنى اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبنى عيصو وبنى مدين وبنى لوط وادوم والارمن والعمالقة واكريكش (1) والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا فى العصبية فصعب على بنى اسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موثد ساير ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر امرهم عند الجلا والله غالب على امرة وبعكس هذا ايضا الاوطان الخلوة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وادعا لقلّة الهرج والانتقاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن فى مصر والشام لهذا العهد اذ هى خلوة من القبائل والعصبية كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر فى غاية الدعة والرسوخ لقلّة الخوارج واهل العصايب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسى من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن احمر سلطانها

(1) Man. D. البرنطس.

Tome XVI. — 1^{re} partie.

لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت لها كثرة انما كانوا
اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا من
ذلك الفلّ وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة
العربية منهم وملكها البربر من لمتونة والموحدين سيموا
ملكتهم وثقلت وطأتها عليهم فاشربت القلوب
بغضاهم ونكراهم وامكن الموحدون السادة في آخر الدولة
كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار بهم على
شأنهم من تملك حضرة مراكش فاجتمع من كان بقى بها
من اهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافى
بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشيء ورسوخا في
الجنديّة مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مرّذنيش فقام ابن
هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد واخرجوهم
واستقلّ ابن هود بالامر بالاندلس ثم سها ابن الاحمر للامر
وخالف ابن هود في دعوته فدعا هولابن ابي حفص صاحب
افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله بعصاة قليلة من
قربته كانوا يستونهم الرؤساء ولم يحتج لكثر منها لقلّة
العصايب بالاندلس وانها سلطان ورعية (ثم) استظفروا بعد
ذلك على الطاغية بمن يجيز اليه البحر من اعياص زناتة
فصاروا معه عصابة على الهاجرة والرباط ثم سها لصاحب

المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس وصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تأتل امره ورسخ والفته النفوس وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظن انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدوءة بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلّة العصاب والقبائل فيه يستغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوغل
في الترف وايتار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلانّ المجد كما قدّمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألّفة من عصابات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخر كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بدّ يكون واحد منها غالبا على الاخر وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لا بدّ ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولّفها

وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته بجميعها واذا تعين له ذلك (ومن) الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجئ خلق التاله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا فيجدع حينئذ انوف العصبيات ويكبح شكايهم عن ان يسوا الى مشاركته في التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر ناقة ولا جهلا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للدول من ملوك الدولة وقد لا يتم للثاني او الثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول سنة الله في عباده (واما) التوغل في الترف فلان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوايدهم واحوالهم

ويصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الاثيق وركوب الفارة ويناغى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدول ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها سنة الله في خلقه (واما) ايثار الدعة والسكون فلان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعى اليها

عجبت لسعى الدهريين وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقتصروا عن المتاعب التي كانوا يتكفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من الهباني والمساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا وبالفون ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتاذن الله بامرهم

فصل فى انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد
بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهم

وبيانه من وجوه لاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما
قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له
واحدا كانت همهم فى التغلب على الغير والذب عن الحوزة
اسوة فى طموحها وقوة شكايبها ومرماهم الى الغز جميع فهم
يستطيعون الموت فى بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على
فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيهم وكبح من
اعتتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغز (1) وفشل
ريحهم وريموا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثانى
على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان
لهم على الحماية والهيونة لا يجرى فى عقولهم سواه وقل ان
يستأجر احد نفسه على الهوت فيصير ذلك وهنا فى الدولة
ونخصدا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف والهم
لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعة الهلك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم
وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير
منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك

(1) Man. A. et B. الغزو.

في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنایع دولتهم فيضعفون هم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عنهم الجباية مقدارها معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من الكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحامية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العسايب (1) والقبائل ويتأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل

(1) Man. A. et B. العسايب.

في النفس من الشر والسفسفة وعوايدها كما يأتي في فصل
الحضارة فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على
الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك
في خلقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعضض احوالها
وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضى الدعة كما ذكرناه
واذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقوا صار لهم ذلك طبيعة
وجبلت شأن العوايد كلها وايلافها فتربا احيالهم الحادثة في حضارة (1)
العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون
عوايد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود
لاقتراس وركوب البيداء وهداية القفر (2) فلا يفرق بينهم
وبين السوقة من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعف
حمايتهم ويذهب بأسهم وينخضد شوكتهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون
يتلونون (3) بعوايد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينسأخون عنها شيئا فشيئا

(1) Man. A. et B. غصادة.

(3) Man. D. يتلونون.

(2) Man. D. هواية القفر.

وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدولة التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قتلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالتترف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى يتأذن الله فيها بامرته وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالي من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك الهالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشطف من ابناء المهاليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم وبترك اهل الدولة المتعودين للتترف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون

مائة وعشرون سنة وهى سنة القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القرات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الهة ما بين الستين الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعى الذى هو مائة وعشرين الا فى الصور النادرة وعلى الاوضاع الغربية من الفلك كما وقع فى شأن نوح عليه الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القرات الا ان الدولة فى الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء النمو والنشو الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل اخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل التى هى عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة فى الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة

والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرفه من البداوة الى الحضارة ومن الشطف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء ويونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم لكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وترايهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غاية بما تنكوه من النعيم وعضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزّي وركوب الخيل وحسن الثقافة يهوهون بها وهم في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعه فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مر فى ان المجد والحسب أما هو فى اربعة آباء وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعى ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمله فلن يعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهمم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزويد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصحح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرربت فى عدتهم وكانت السنون الماضية منذ اولهم محصلة لديك

فعدّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الأباء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدر الليل والنهار

فصل فى انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هى تفتن فى الترف واحكام الصنایع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والهبانى والفرش والآنية وسائر عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنایع فى استجاداته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب ياخذون (ومثل) هذا

وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من حضارة فقد حكى انه قدم لهم المرفق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحاً وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفتن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتن في احواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجادة الهطاعم المشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والآنية والغنا وسائر الماعون والخرثى وكذا احوالهم في ايام المباحاة والولايم وليالى الاعراس فاتوا من ذلك وراء الغاية (وانظر) ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما في اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه في خطبتها الى داره بقم الصالح وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نحلها المامون وانفق في عرسها تقف من ذلك على العجب (فمنه) ان الحسن ابن سهل نشر يوم الاملاك في الصنيع الذى حضره حاشية المامون فنشر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة على

الرقاع بالصياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما آذاه اليه الاتفاق والبحث وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك (ومنه) ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصة من الياقوت واوقد شموع الغنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدرّ والياقوت وقال المامون حين رآه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حسباً در على ارض من الذهب

واعدّ بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدة عام كامل تلك مرّات في كل يوم وبنى الحطب لليشد واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله (وكذلك) عرس الهامون بن ذى النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من

البدواة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختان ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولايم الفرس وقال له اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال نعم ايتها الامير شهدت بعض مرازبة كسرى قد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على اخونه الفضة اربعا على كل واحد ويحمله اربع وصايف ويجلس عليه اربع من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المايذة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت (ومن هذا الباب) اعطية بنى امية وجوايزهم فانما كان اكثرها الابل اخذا بمذاهب العرب وبداتهم ثم كانت الجوايز في دولة بنى العباس والعبيديين ومن بعدهم ما علمت من احوال المال وتخوت الثياب واعداد الخيل بهراكبها وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبة بافريقية وبنى طغج بمصر وشأن لمتونة مع ملوك الطوايف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى امية وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى امية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة

بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك السلجوقية ثم الى
الترك بمصر موالى بنى ايوب والى التتار بالعراقيين وعلى
قدر عظم الدولة يكون شأنها فى الحضارة اذ امور الحضارة
من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة
والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة
فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه تجده
صحىحا فى العمران والدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الترف يزيد الدولة فى اولها قوة الى قوتها

والسبب فى ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك
والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة
واستكثروا ايضا من الموالى والصنایع وربيت اجيالهم فى جو
ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى
قوتهم بسبب كثرة العصايب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب
الجيل الاول والثانى واخذت الدولة فى الهرم لم يستقل
اولئك الصنایع والموالى بانفسهم فى تأسيس الدولة وتمهيد
ملكها لاتهم ليس لهم من الامر شى انما كانوا عيالا على
اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ
فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة
(واعتبر) هذا بما وقع فى الدولة العربية فى الاسلام كان عدد

العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا او ما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنایع بلغ ذلك العدد الى اضعافه (يقال) ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذ اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المامون؛ للانفاق عليهم وكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذى حصل للدولة وربى فيه اجيالهم ولا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

فصل فى اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها فى
البداءة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنتقل فى اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكسب القايمون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لهزاج الحال الذى هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو

في الغالب خمسة (الاول) طور الظفر وغلب المدافع والهناح والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها (الطور الثاني) طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنایع والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبته وعشيرته المقاسمين له في نسبه الضاربيين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدّهم عن موارد ويردّهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقرّ الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر واشدّ لانّ الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراوهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب ولا يظاهرة على مدافعتهم الا الاقل من الاباعد فيركب صعباً من الامر (الطور الثالث) طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثاء وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في

الجباية وضبط الدخل والخراج واحصاء النفقات والقصد فيها
وتشييد الهباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة
والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه
القبائل وبث المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنايعه
وحاشيته في احوالهم بالمال والسجاء واعتراض (1) جنوده وادرار
ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر
ذلك عليهم في ملابسهم وزيتهم وشكتهم ايام الزينة فيباهي
بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر
اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم في هذه الاطوار
كلها مستقلون بارايهم بانون لغزهم موضحون الطرق لمن
بعدهم (الطور الرابع) طور القنوع والهسالية ويكون صاحب
الدولة في هذا قانعا بما بنا اولوه سلما لانظاره من الملوك
واقتاله مقلدا للماضين من سلفه يتبع آثارهم حدو النعل بالنعل
ويقتفى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج
عن تقليدهم فساد امرة وانهم لبصر بها بنوا من مجده
(الطور الخامس) طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة
في هذا الطور متلفا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات
والملاذ والكرم على بطانتها وفي مجالسها واصطناع اخدان
السوء وخصراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون

(1) Man A. et B. اعراض.

بحملها ولا يعرفون ما ياتون وما يذرون منها مستفسدا لكبار
الاولياء من قومه وصنایع سلفه حتى يضطغنون عليه ويتخاذلوا
عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق اعطياتهم فى شهواته
وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقدته فيكون مخربا لها كان
سلفه يوتسون وهادما لما كانوا يبنون وفى هذا الطور تحصل
فى الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن
الذى لا يكاد يخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان
تقرض كما نبينه فى الاحوال التى نسردها والله خير الرازيين
فصل فى ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها

والسبب فى ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التى
بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك مبانى
الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة
فى اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدى على
العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب
كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من
آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا
ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران عنها وانظر
بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعترم
الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه

العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقنطرة التى على واديهها وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القناة الراكبة عليها وآثار شرشال بالهغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار المائلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف (واعلم) ان تلك الافعال للاقدمين انها كانت بالهندام وباجتماع الفعلة وكثرة الايدى عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تنوهم ما تنوهم العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين فى ذلك اخبارا عريقة فى الكذب من اغربها ما يحكون من عوج بن عناق رجل من العمالقة (1) الذين قاتلهم بنو اسريل فى الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه فى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان

(1) الكنعانيين. Man.A. et B.

للسهس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان
الحر هو الضو وان الضو فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا جاوزت مطارج الاشعة المنعكسه
فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحب
وانما الشمس فى نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط
مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكروه
من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل
عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجثمانهم لذلك
العهد قريب من هياكلنا تشهد لذلك ابواب بيت
المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على
اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج
وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلطهم فى هذا
انهم استعظموا آثار الاسم ولم يفهموا حال الدول فى الاجتهاد
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة
فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس
الامر كذلك (وقد زعم المسعودى ونقله من الفلاسفة
مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التى هى جبلة
الاجسام لما براء الله الخلق كانت فى تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال

تلك الطبيعة فان طرء الهوت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية شأنه تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لنقصان المادة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهانتى ونحن نشاهد مساكن الاولين ابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن كديار تمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابا ضيقة وقد اشار النبى صلى الله عليه الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به واهريق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قرناه (ومن) آثار الدول ايضا حالها في العراصة والولايم كما ذكرناه فى ولية بوران وصنيع الحجاج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله (ومن) آثارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان الهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوايز ابن ذى يزن لوفد قريش كيف

اعطاهم من ابطال الذهب والفضة والاعبد والوصايف عشرا
عشرا ومن كرش الغنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله
لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت
استبداد فارس وانما حمله على ذلك همة نفسه بما كان
لقومه التبابعة من الملك فى الارض والغلب على الامم فى
العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيين بافريقية ايضا
اذا اجازوا الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم
المال احمالا والكساء تخوتا مهلوة والحملان جنائب (1)
عديدة (وفى) تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
(وكذلك) كان عطاء البرامكة وجوايزهم ونفقاتهم وكانوا اذا
اكسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر
لا العطاء الذى يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم فى
ذلك كثيرة مسطورة وهى كلها على نسبة الدول جارية
(وهذا) جوهر الصقلبي الكاتب قايد جيش العبيديين لها
ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهى اليوم دولة الى مثل هذا (وكذلك) وجد
بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى
بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع النواحي ونقلته
من كتاب جراب الدولة (غلات) السواد سبعة وعشرون

(1) Man. A. et B. حقايب.

الف الف درهم مكررة مرتين وسبعماية الف درهم وثمانون
الف درهم (ابواب) المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم
مرتين وثمان مائة الف درهم مرة ومن الحلل النجرانية مايتا
حلة (1) ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا (كسكر)
احد عشر الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة
(كوردجلة) عشرون الف الف درهم مرتين وثمان مائة الف
درهم مرة (الاهواز) خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن
السكر ثلاثون الف رطل (فارس) سبعة وعشرون الف الف
درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب (2)
الاسود عشرون الف رطل (كرمان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين ومايتا الف درهم مرة ومن المتاع اليهاني خمسمية
ثوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكهون الف رطل
(مكران) اربعمائة الف درهم مرة (السند) وما يليه احد عشر
الف الف درهم وخمسمية الف درهم مرة ومن العود الهندي
مائة وخمسون رطلا (سجستان) اربعة آلاف الف درهم مرتين
ومن الثياب المعتبة ثلثماية ثوب ومن الفانيذ عشرون الف
رطل (خراسان) ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن
نقر الفضة الفا نفرة (3) ومن البراذين اربعة آلاف دابة ومن

(1) Le m. A. et le m. B. ajoutent ثنتان. (3) Man. A. et B. ajoutent اثنان.

(2) Man. A. et B. الزيت.

الرقيق الف راس ومن الثياب سبعة وعشرون الف ثوب
ومن الاهليج ثلاثة آلاف رطل (جرجان) اثنا عشر الف الف
درهم مرتين ومن الابريسم الف شقة (قوس) الف الف درهم
مرتين وخمسمائة الف ومن نقر الفضة الف (طبرستان)
والرويان ونهاوند ستة آلاف الف درهم مرتين وثلاثماية الف
ومن الفرش الطبرية ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ثنتان
ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثماية ومن
الجمامات ثلاثماية (الري) اثنا عشر الف الف درهم مرتين
ومن العسل عشرون الف رطل (همدان) احد عشر الف
الف درهم مرتين وثمانماية الف درهم مرة ومن رب
الروانيين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل (مابين)
البصرة والكوفة عشرة آلاف الف درهم وسبعماية الف درهم
(ماسبدان) والريان اربعة آلاف الف درهم مرتين (شهرزور)
ستة آلاف الف درهم مرتين (الموصل) وما اليها اربعة
وعشرون الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون الف رطل (اذربيجان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين (الجزيرة) وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلاثون
الف الف درهم مرتين (الكرج) ثلاثماية الف درهم مرة
(كيلان) خمسة آلاف الف درهم مرتين ومن الرقيق الف
راس ومن العسل اثنا عشر الف زق ومن البزاة عشرة ومن

الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف الف درهم مرتين
ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم خمسمائة وثمانون
رطلا ومن المايح (I) السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الطريح
عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ثنتان ومن البزاة
ثلاثون (قشرين) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
ومن الزبيب ألف حمل (دمشق) أربعمائة ألف دينار وعشرون
ألف دينار (الأردن) ستة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة
ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل
(مصر) ألفا ألف دينار اثنان مرتين وتسعمائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار (برقة) ألف الف درهم مرتين (أفريقية)
ثلاثة عشر ألف الف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون
(اليمن) ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع
(الحجاز) ثلثمائة ألف دينار (وأما الأندلس) فالذي ذكره
الثقات من مؤرخيها أن الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك
بنو أمية المتلقب بلقب الخلافة ترك في بيوت أمواله
عند الوفاة خمسة آلاف دينار مكررة مرتين يكون جهلتها
بالقناطير خمسمائة قنطار (ورأيت) في بعض تواريخ الرشيد أن
المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قنطار من
دنانير الذهب وخمسمائة قنطار في كل سنة (وأما دولة

(I) Man. A. المسابح. man. D. المالح.

العبيديين) فرايت في تاريخ ابن خلكان عند ما ذكر
الأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي الهستبدّ على خلفائهم
بمصر انه لما قتل وجد في خزانته ستمائة الف الف
دينار مكررة مرتين ومايتان وخمسون اردبا من الدراهم وما
يناسب ذلك من ذخاير الفصوص واللآلى والاقهشة والامتعة
والمراكب والحمولة (واما) هذه الدول الحادثة التي ادركناها
فاعظمها دولة الترك بمصر وكان استفحالها ايام الناصر
محمد بن قلاون منهم وغلب عليه لاول دولته الاميران
بيبرس وسلار ثم خلعه بيبرس واستبدّ بكرسيه وسلار
رديف له فلما انتزع الناصر الملك من يده ونكب بعد
مدّة رديفه سلار واستصفي ذخيره فوقف على جريدة
احصايتها ومنها نقلت من الياقوت البرهمانى والبالحش
اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص
الماس وعين الهّر ثلثمائة قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة
رطلان ومن اللؤلؤ المدور من زنة مثقال الى وزن حبة الف
وماية وخمسون حبة ومن الذهب العين الف الف دينار
مكررة مرتين واربعماية الف مرة وفسقية مملوءة بالذهب
صبيبا واكياس مملوءة ذهبا استخرجت من بين حايطين
ولم يعلم عدتها ومن الدراهم الفا الف اثنان مكررة مرتين
واحد وسبعون الفا ومن الحلّى المصاغ اربعة قناطير الى ما

يناسب ذلك من الاقمشة والامتعة والمراكب والظهر والغلال
والسايمة والمهايك والجواري والعقار (وبعدها) دولة بنى
ميرين بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة فى خزانة
ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون بن البواق ان
مخلف السلطان ابي سعيد بيت ماله سبعة قنطار
ونيف من دنائير الذهب وفى موجوده مما سوى ذلك ما
يناسبه وكان السلطان ابي الحسن ابنه من بعده اكثر من
ذلك (ولما) استولى على تلمسان وجد فى ذخاير سلطانها
ابى تاشفين من ملوك بنى عبد الواد ثلثماية قنطار ونيف
من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى ما يناسب ذلك
مما سواه (واما) ملوك افريقية الموحدين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قائده واتبك عساكره
محمد بن الحكيم فاستصفى منه اربعين قنطارا من دنائير
الذهب ومد من الفصوص واللالى ونهب من فرش بيوته
قريب من ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتهلكات
(وحضرت) بمصر ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق وقد
نكب استدارة الامير محمود وصادره فاخبرنى متولى
مصادرته ان مبلغ ما استصفى منه من الذهب الف الف
دينار مكررة مرتين وستماية الف الف دينار مرة واما ما سوى
ذلك من الاقمشة والمراكب والانعام والغلال والظهر فعلى

نسبة ذلك (فاعتبر) ذلك في نسبة الدول بعضها الى بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شى من امثاله فتصيق حوصلتك عن ملتقط الممكنات فكثير من الخواص اذا سهوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود وال عمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى امية والعبيديين وقايسنا الصحيح من ذلك والذى لا نشك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت فى اصل قوتها و عمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الاصل فى القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال فى غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والتهوانر وفيها المعايين والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ (1) من الاحوال الهنقولة مراتب الدول فى قوتها او ضعفها وضخامتها وصغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان ابى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة

(1) يتخذ. D. فحد. A. et B. Man. (1)

طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما راي من العجائب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من احواله بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتتاجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن واريت انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

بما انك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يفتدى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصنفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه فيقول ايسن الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفار وهذا كثيرا ما يعترى الناس في الاخبار كما يعترىهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيناً على نفسه ومميزاً بين طبيعة المهكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حداً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا اصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في (1) نسبة ذلك على احواله وحكمتنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زد لي علماً

(1) Man. C. et D. من.

فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل
عصبته بالموالى والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم
عصابته وظهر اوه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته
ومنهم يقاد اعمال مهلكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاؤه فى الامر ومساهموه فى ساير
مهماته هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور
الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه
بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج فى
مدافعتهم عن الامر وصددهم عن المشاركة الى اولياء اخرين
من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب عليه من سايرهم واخص به قربا واصطناعا واولى
ايارا وجاها لما انهم يستमितون دونه فى مدافعة قومه عن
الامر الذى كان لهم والرتبة التى القوها فى مشاركتهم
فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة
والايار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجبابة وما يختص به لنفسه
ويكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم
حينئذ اولياء الاقربون ونصحاوه المخلصون وذلك حينئذ

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

موزن باهتصام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل
الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه
ويترصون به الدواير ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب
الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بنى امية
كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال
العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن
زياد بن ابي سفيان والحجاج ابن يوسف والمهلب بن
ابى صفرة وخالد بن عبد الله القسرى وابى هبيرة وموسى
ابن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن
سيار وامثالهم من رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد
بالمجد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة
للعجم والصنایع من البرامكة وبنى سهل بن نوبخت
ونبى طاهر ثم بنى بويه وموالى الترك مثل بغا ووصيف
واتامش وباكياك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من
موالى العجم فتصير الدولة لغير من مهدها والعز لغير من
اجتلبه سنة الله فى عباده

فصل في احوال الموالى والهصطنعين في الدول

علم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من الهدافة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوى الارحام والقربى والتخاذل في الاجانب والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهمى والمعنى كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة وطول الممارسة والصحة بالمربا والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وان لم يكن نسبيا فثمرات النسب موجودة فان كانت الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتها اوشج وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتهيز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوى قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد

عن الهوالى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تمييز الرتب وتفاوتها فتتيز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثانى ان الاصطناع قبل الهلك يبعد اهله عن الدولة بطول الزمن ويخفى شأن تلك اللحمية ويطن بها فى الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى فى معرفته الاكثر فتبين اللحمية وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اشد التحاما به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الهلك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمية ما للدولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة فى آخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقراب العهد حينئذ باوليتهم واشراف (1) الدولة على الانقراض فيكونون منحطين فى مهاوى الضعة وانما يحمل

(1) Man. C. et D. مشاركة.

TOME XVI. — I^{re} partie.

صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليائهم
 الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعترتهم في انفسهم من العزة
 على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله
 واهل نسبه لتاكّد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى
 والاتصال باآبائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته
 فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم بسببها
 صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد
 استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
 ويبقون على حالهم من الخارجيّة وهكذا شأن الدول في
 اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنايع والاولياء على الاولين
 واما هولاء المحدثون فخدم واعوان والله وليّ المؤمنين

فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

اذا استقرّ الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل
 القايمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله
 بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيح فرّما حدث التغلب
 على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر
 ولاية صبي صغير او مضغف من اهل المنبت (1) يترشح
 للولاية بعد ابيه او يترشح ذويه وخوله ويونس منه العجز

(1) Man. D. البيت.

عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله ويورى بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسيمه في مراعيها متى امكته وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انها هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التمويل والقعود مع النساء خلق الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي ومباشرة الاحوال الهلوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والهال والثغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويورثه عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبني بويه والترك وكافور الاحشيدى وغيرهم بالمشرق وللمنصور ابن ابى عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشانه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الهلك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب عليه اما بقتل او بدفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد

نسوا عهد الرجوليّة والفوا اخلاق الدايات ولاظار وربوا عليها
فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انها
همهم في (1) القنوع بالابهة والتفنن في اللذات وانواع الترف وهذا
التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك
على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منها الا فى الاقل
النادر والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه فى
اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة
بعصبية قومه وعصبية التي استتبعتهم حتى استحكمت
له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها
انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب
عصبية من قبيل الملك او الموالى والصنایع فعصبية مندرجة
فى عصبية اهل الملك وتابعة لها وليس لها صبغة فى الملك
وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع
نهراته من الامر والنهى والحل والعقد والابرام والنقض يوهم
بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ فى

(1) Man. A. et B. همهم القنوع.

ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات
الهلك وشاراته والقابله جهده ويبعد نفسه عن التهمة
بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده
ذلك بالحجاب الذى ضربه السلطان واولوه على انفسهم
من القبيل مذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض
لشئ من ذلك لنفسه غلبه اهل العصبية وقبيل الملك
وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة في
ذلك تحملمهم على التسليم له والانقياد فيهلك لاول وهلة
وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر
حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم
يقنع بما قنع ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم
التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم
ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم
الخليفة هشام ابن محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا
عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين وهلاك
المؤيد خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى
آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

فصل في حقيقة الملك واصنافه

الهلك منصب طبيعى للانسان لانا قد بينا ان البشر

لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويبانهه الآخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع الهفصى الى المقاتلة وهي تودى الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفصى ذلك الى انقطاع وهو مما خصه البررى تعالى بالمحافظة فاستحال بقاوم فوضى دون حاكم ينزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكّم ولا بد في ذلك من العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والهدافات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف يتوجه نحوه الطلبات ويحتاج الى المدافات ولا يتم شىء من ذلك الا بالعصبية كما مرّ والعصبية متفاوتة وكل عصبية فلها تحكّم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرتها وليس الملك لكل عصبية وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعد الرعية ويجبى الاموال ويبعث البعث ويحمى الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته فى المشهور فمن قصرت به

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عصبية عن بعضها مثل حماية الثغور وجباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير
من ملوك البربر في دولة الاغالبة بالقيروان وملوك العجم
صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبية ايضا من
لاستعلاء على جميع العصبية والضرب على ساير الايدي
وكان فوقه حكم غيره فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته
وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم
دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق
اغنى يوجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون
بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك
العجم في دولة بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع
الاسكندر وقومد اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله
القاهر فوق عباده

فصل في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له
في الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسه
من حسن شكله او ملاحه وجهه او عظم جسمانه او اتساع

علمه او جودة خطه او ثقب ذهنه انما مصالحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جميلة سالحة كان ذلك مصلحة لهم فان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكا لهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الهلك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن غورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم واخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحرب والمدافع ففسدت الحماية بفساد النيات وربما اجتمعوا قتله لذلك ففسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا ففسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب (واما) توابع

PROLOGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك واما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيهن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس فاكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل واقل ما في اليقظ انه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها بالهجة فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم (ومن) هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكاء وماخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال عزلتني يا امير المؤمنين العجز ام لخيانة فقال له عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد ابن ابي سفيان وعمرو بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الهلكة وحمل الوجود على ما ليس في طبيعته كما ياتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في لجهود والظرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمجهود هو التوسط كما في

الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجبين
وغير ذلك من الصفات الانسانية وبهذا يوصف الشديد الكيس
بصفات الشيطان فيقال شيطان ومُتَشَيِّطٌ وامثال ذلك والله
يخلق ما يشاء

فصل في معنى الخلافة والامامة

لها كانت حقيقة الملك انه الاجتهاع الضروري للبشر ومقتضاه
التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت
احكام صاحبه في الغالب جايرة عن الحق مجحفة بمن
تحت يده من الخلق في احوال دنياهم لحمله اياهم في
الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف
ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر
طاعته لذلك وتجي الهصية المفضية الى الهرج والقتل
فوجب ان يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة
يسلها كافة وبنقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس
وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من (I) مثل هذه السياسة
لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله في الذين خلوا
من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر
الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من
الله سبحانه وتعالى بشارع يقرها ويشرعها كانت سياسة دينية

(I) اختلقت B. اختلت الدولة في Man. A.

نافعة في الحياة الدنيا والآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله تعالى يقول افحسبتم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم الهضي بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرايع تحملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الهلك الذي هو طبيعتي للاجتماع للانسانى فاجرتة على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو في مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بهقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عايذة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالاناس صلاح آخرتهم فوجب بهقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل

الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك طبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسة هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيها نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل في اختلاف الامة في حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمى خلافة وامامة والقيام به خليفة واماما وسماه الهتاخرون سلطانا حين فشا التعدد فيه واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والافتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه

بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ولان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب واما الحاضر فلا (ثم) ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوب العقل وان الاجماع الذى وقع فانما هو قضاء بحكم العقل فيد قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم متفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاعراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظ الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فسادها وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشر من

الله تسلّم له الكافة تسلّم إيمان واعتقاد وهو غير مسلم لأن
الوازع قد يكون بسطوة الهلك وقهر الشوكة ولو لم يكن شرع
كما في أمم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه
الدعوة أو نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم
الظلم عليه بحكم العقل فادّعاهم أن ارتفاع النزاع إنما يكون
بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الروساء أهل الشوكة أو
بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينتهض دليلهم العقلي
المبنى على هذه المقدمة فدلّ على أن مدرك وجوبه إنما
هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدّمناه وقد شدّ بعض الناس
فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب
عند هؤلاء أمضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء
موجودون بالاجماع والذي حملهم على هذا الذهب إنما هو
الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع
بالدنيا لما راوا الشريعة متلّية بذم ذلك والنعي على اهله
ومرغبة في رفضه (واعلم) ان الشرع لم يذم الهلك لذاته
ولا حظر القيام به وإنما ذم الهفاسد الناشئة عنه من القهر
والظلم والتمتع بالذات ولا شك في ان هذه مفاصد محظورة

وهي من توابعه كما اتنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذبت عنه واوجب بازايها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذن انها وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من الهكفين وليس مراده تركهما بالكليّة لداعية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرها وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيئاً فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرّر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعاً طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنيين معا وعليه جمهور العلماء وقوفاً مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك في صحيح مسلم في كتاب الامارة منه وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو في البلد الواحد او في حال تقاربهما

وأما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز
 نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين
 نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين
 ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من
 آراء الاندلسيين والمغاربة الجنوح الى ذلك فقد كان العلماء
 بالاندلس متواقرين وبايعوا لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن
 منهم وابناءه بامير المؤمنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى
 وكذا الموحدون بعدهم بالغرب وقد رد بعضهم ذلك
 بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه
 الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اقعد بعروة الاجماع
 نعم رد على الامام الهازرى والنوى وقوفا مع ظواهر الاحاديث
 كما قلناه وربما احتج لذلك بعض المتأخرين بدليل التنازع
 الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله
 لفسدتا ولا ينهض الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان
 دلالتها عقلية تبها الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا
 باعتقاده بدليل عقلى فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب
 الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم
 الاستدلال بها الا ان يقررها شرعية بزيادة مقدمة اخرى
 وهى ان التعدد ينشأ عنه الفساد ونحن ممنوعون مما يجزى اليه
 وبصير الاستدلال حينئذ شرعيا والله اعلم (واما) شروط هذا

المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يوتر في الراى (1) والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشى فاما اشتراط العلم فظاهر لانه اما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفى من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعى الكمال فى الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب دينى ينظر فى ساير المناصب التى هى شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفى انتفايها بالبدع الاعتقادية خدق واما الكفاية فهو ان يكون جرياً على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير الهالصح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يوتر فقده من الاعضاء فى العمل كفقده اليدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك فى تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين فى المنظر فقط كفقدان احدى

(1) Man. B. et C. الراى. A. الراى.

هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال (ويلتحق) بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الذين والعدل وحميد السياسة جاز اقراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنته حتى ينفذ فعل الخليفة (واما) النسب القرشي فلاجع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحسجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في قريش وامثال هذه الادلة كثير الا انه لها ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبها انفقتم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة وتغلب عليهم

الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشيّ ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لوليته او لما داخلتنى فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابيّ ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاة حاصلة بسالم من قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولاة المفيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراءة غير محتاج اليه اذا الفائدة في النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولاة وكان ذلك حرصا من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تاحقه به لائمة ولا عليه فيه عهدة (ومن) القايلين بنفى اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قريش من الثلاثي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال

الخلفاء لعهدده وبقى الجمهور على القول باشتراطها وصحة
الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين
ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على امره
لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية
واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم
والدين وسقط اعتبار شروط هذا الهنصب وهو خلاف الاجماع
(ولنتكلم) الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب
في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها
من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد
الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى
الله عليه وسلم كما هو المشهور وان كانت تلك الوصلة
موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد
الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصلحة في اشتراط
النسب هي المقصودة في مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم
نجدها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والاطالبة
ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب الهنصب فتسكن
اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا
كانوا انف مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على
ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب

يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره فتفترق الجماعة وتختلف الكلية والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتمات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعضا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام الهلة واتفاق (1) الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو

(1) اتقان. Man.A. et B.

لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علما ان ذلك انما هو من الكفاية فردناه اليها وطردها العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشتطنا في القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية على من معها بعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعم ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شأن النساء وانهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر

أمة أو جيل إلا من غلب عليهم وقتل ان يكون الأمر الشرعي مخالفا للأمر الوجودي والله تعالى اعلم

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الأمة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى الأمة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بنصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه وبعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاة فعلى مولاة قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في على ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم على ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد باولى الأمر الواجبة طاعتهم من الله

بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والهراد الحكم والقضا ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني على روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على (ومن) الخفى عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحى اليه ليلغه رجل عنكم او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على علي واما ابو بكر وعمر فقد قدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعمر بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم (ثم) منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه وكذلك ينتقل منه الى من بعده وهؤلاء الامامية ويتبرون من الشيخين حين لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغصون في امامتهما ولا نلتفت الى نقل القدر فيها من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم (ومنهم) من يقول ان هذه الادلة انها اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعدهم وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرون من

الشيخين ولا يغصون في امامتها مع قولهم بان عليا افضل
منها لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل (ثم
اختلفت) هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي (فمنهم)
من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم
باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذاهبهم
(ومنهم) من ساقها الى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة
وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا
ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب
الذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان
يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام
فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوها زيد العابدين اماما لانه لم
يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه
مذاهب المعتزلة واخذة اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر
الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما
ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا
رافضة (ومنهم) من ساقها بعد علي او ابنه السبطين على
اختلفهم في ذلك الى اخيها محمد بن الحنفية ثم الى
ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاة وبين هذه
الطوائف اختلافات تركناها اختصارا (وفيهم) طوائف يسمون

الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايهان في القول بالاهية هولاء
الايمة اما على انه بشر اتصف بصفات الالهية وان لاله
حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب
النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على
رضي الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط
محمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد لها بلغه مثل
ذلك عنه فصرح بلغه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر
الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه (ومنهم) من يقول ان
كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام
اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ (ومن هولاء
الغلاة) من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوزة الى غيره
بحسب من تعين لذلك عندهم وهولاء الواقفية فبعضهم
يقول هو حتى لم يميت الا انه غايب عن اعين الناس
ويستشهدون لذلك بقضية الخضر قيل مثل ذلك في
على رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وقالوا مثله في محمد ابن الحنفية وانه في جبل
رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الائمة من قريش	ولاة الحق اربعة سراة
على والثلاثة من بنيه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبب سبب ايهان وتر	وسبب فتبته كربلاء
وسبب لا يدوق الموت حتى	يقود الجيش يقدمه الولاء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ايتمتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى ويلقبونه المهدي دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيهلأ الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث المواتع فى كتاب الترمذى فى المهدي وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد (وبعض) هولاء الواقفية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بها وقع فى القران الكريم من قصة اهل الكهف والذى مر على قرية وقتيل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت فى طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هولاء السيد الحميرى ومن شعرة فى ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال
فقد ذهب بشاشته واودى
فليس بعابيد ما فات منه
الى يوم يؤب الناس فيه
ادين بان ذلك دين حق
كذاك الله اخبر عن اناس
وعلله المواشط بالخصاب
فقم يا صاح نبك على الشباب
الى احد الى يوم الاياب
الى دنياهم قبل الحساب
وما انا فى النشور بنى ارتياب
حيوا من بعد درس فى الشراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ايّة الشيعة فانهم لا يقولون بها
ويبطلون احتجاجاتهم عليها (فاما الكيسانية) فساقوا الامامة
من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء
الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على
ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم
لما مات بارض الشراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد
بن على بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه
ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن
الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله
ابى جعفر الملقب بالنصور وانتقلت في ولده بالنص
والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية
القايمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربها
يعضدون ذلك بان حقه في هذا الامر يصل اليهم من
العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبة
العمومية (1) (واما الزيدية) فساقوا الامامة على مذاهبهم فيها وانها
باختيار ايّة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة على ثم
ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم
ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج

(1) Man. C. بعصبة العمومية. D.

بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية
بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل
بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز
وتلقب بالمهدى وجاءت عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد
بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن
على فزحف اليهم المنصور في عساكره او قواده فهزم
وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك
كله وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون منهم الى ان
الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن
القاسم بن علي بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي
فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى
المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من
الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي
حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
الامامة في عقبه واليه انتسب داعى الزنج كما نذكره في
اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن
عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك
وقام بامر ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان
من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في

اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
 الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن
 محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن السبط
 واخوه محمد بن زيد (ثم) قام بهذه الدعوة في الديلم
 الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن ابن
 علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي
 فكانت لبيته في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في
 اخبارهم (واما الامامية) فساقوا الامامة من علي الوصي الى
 ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه
 علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه
 جعفر الصادق ومن هنا افرقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر
 من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمن كما مر (واما
 الاسماعلية) فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابيه جعفر
 الصادق وفايدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل
 ابيه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى
 ابنه محمد المكنوم وهو اول الائمة المستورين لان الامام عندهم
 قد لا تكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة

للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته ابو عبد الله الشيعي في كتامة وتابعه الناس على دعوته ثم اخرجته من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي الهستور ويسمون ايضا الهاحدة لها في ضمن مقالاتهم من الاحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن ابن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الظفر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (واما الاثنى عشرية) وربها خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه على الرضا الذي عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه على الهادي ثم ابنه الحسن

العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قدمنا ذكره
وفى كل واحد من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير لا ان
هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتب
الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

فصل في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعّية للعصبيّة ليس وقوعه عنها
باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل
وان الشرايع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ
فيه من العصبيّة اذ المطالبة لا تتمّ الا بها كما قدّمناه
فالعصبيّة ضروريّة للملّة وبوجودها يتمّ امر الله منها وفي
الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا
الشارع قد ذمّ العصبيّة وندب الى اطراحها وتركها فقال
ان الله اذهب عنكم غيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء انتم بنو
آدم وادم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ووجدناه ايضا قد ذمّ الملك واهله ونعى على اهله احوالهم
من الاستمتاع بالخلاف والاسراف في غير القصد والتسكّب
عن صراط الله واتما حَضّ على الالفة في الدين وحذر من
الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع

مطية للآخرة ومن فقد الهئية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه أهماله بالكلية او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التى نشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها فى اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزع من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان والاغراض الذميمة فاذا كان الغضب فى الله ولله كان ممدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا فى حقه وانها المراد تصريفها فيما ابيح له باشماله على الصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع (1) وقال لن تنفككم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت فى الجاهليه وان (2) يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان

(1) Man. D. الشارع.

(2) Ibid. الا.

ذلك مجان من افعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه ليا فيه من التغلب بالباطل وتصريف الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله وسلامه عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والملك (ولما) لقي معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية قال يا امير المؤمنين انا في ثغر تجاه العدو وبنا الى مباحاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لها احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنعه هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروجه منها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب

الباطل والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وإنما قصده بها وجه الله تعالى فسكت وهكذا شأن الصحابة فى رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضى الله عنه على الصلاة اذ هى اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهى حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجبر للملك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعا سنن صاحبه وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقاتل الامم فغلبهم واذن للعرب فى انتزاع ما بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت الى عثمان ثم الى على والكل متبرؤن من الملك منكبون عن طرقة واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عضاضة الاسلام وبدادة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها لا من حيث دينهم الذى يدعوهم الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفئه الذى الفوه فلم تكن امة اسغب (1) عيشا من مضر لما كانوا

(1) اشعث. Man. D.

بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من
الارياف وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة
واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما
ياكلون العقارب والخنافس ويفخرون باكل العلهز وهو وبر
الابل يموهونه بالحجارة فى الدم ويطبخونه وقريب من هذا
حال قريش فى مطاعمهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت
عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما
كتب الله لهم من الارض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم
واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرقه لديهم حتى كان الفارس
الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب
او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذة الحصر وهم مع
ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضى الله عنه يرقع
ثوبه بالجلد وكان على ما يقول يا صفراء ويا بيضاء غرى
غيرى وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم
يعهد للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم
بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم
ما كانت لاحد من اهل العالم (قال) المسعودى فى ايام
عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند
خازنه خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم وقيمة

ضياعه بوادي القرى وحين وغيرهما مائتا الف دينار وخلف
ابلا وخيلا كثيرة (وبلغ) الثمن الواحد من متروك الزبير
بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة
(وكانت) غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن
ناحية الشراة اكثر من ذلك (وكان) على مربط عبد الرحمن
ابن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الآف من الغنم
وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربع وثمانين الف (وخلف)
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خلف من الاموال والضياع بهاية الف دينار (وبنى) الزبير داره
بالبصرة وكذلك بنى بهصر والكوفة والاسكندرية (وكذلك)
بنى طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنها بالجص
والاجر والساج (وبنى) سعد بن ابي وقاص داره بالعقيق
ورفع سبعمها واوسع فضاها وجعل على اعلاها شرفات (وبنى)
المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (وخلف)
يعلى بن منبة خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته
ثلثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودي فكانت مكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعا عليهم في دينهم اذ هي
اموال حلال لانها غنايم وفيء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف
انها كانوا على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك
بقادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانها يرجع الى ما

أشرنا إليه من الأسراف والخروج به عن القصد وإذا كان حالهم قصداً ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عوناً لهم على طريق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم الرفض والاستكثار من الأموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق (ولما) وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لا يثار باطل أو لاستشعار حقد كما يتوهمه متوهم أو ينزع إليه ملحد وإنما اختلف اجتهادهم في الحق وخالف كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل وإنما قصد الحق وخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستيثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتضاء الحق من اتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معاوية على

غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في
افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس
وراءه كبير مخالفة (وقد) كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
راى ابا القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لى من الامر
شىء لوليتته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكته كان
يخشى من بنى امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه
فلا يقدر ان يحول الامر عنهم ليلا تقع الفرقة وهذا كله انها
حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية
فالمالك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في
مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه وقد
انفرد سليمان وابوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى
اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية
الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانوا بنو امية لم
يرضوا تسليم الامر لهن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه
مع ان ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب احد في ذلك
ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما
كان عليه من الفسق حاش لله لمعاوية من ذلك وكذلك
كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم
في الملك مذهب اهل البطالة والبغى انما كانوا متحررين

لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها
 مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو اهمّ لديهم من كل مقصد
 يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقْتداء وما علم
 السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الهوط بعجل عبد
 الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين
 وفضله معروف ثم تدرج الامر في ولده عبد الملك وكانوا
 من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد
 العزيز ونزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم
 يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم
 الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري
 القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما
 دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية
 منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بهكان وصرفوا
 الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو
 الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر
 الى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا
 وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتأذن الله بحربهم وانتزع
 الامر من ايدي العرب جهلة وامكن سواهم منه والله لا يظلم
 مثقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم
 في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى

المسعودى مثله فى احوال بنى امية عن ابى جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بنى امية (فقال) اما عبد الملك فكان جبارا لا يبالى بما صنع واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لها مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تستهم معالى الامور ورفضهم ادانيها حتى افضى الامر الى ابنايهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجه وامننا لمكره مع اطراحهم صيانة للخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة (ثم) استحضر عبد الله بن مروان فقضى عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل ارضه فارا امام بنى العباس قال اقمتم مليا ثم اتانى ملكهم فقعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قية فقلت ما منعك عن القعود على ثيابنا قال انى ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله ثم قال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب

والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك
وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكرة منا فاطرق نيكت بيده في الارض ويقول عبيدنا
واتباعنا واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الى وقال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما
عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم
الذل بذنوبكم ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان
يحل بكم العذاب انتم ببلدى فينالى معكم وانما الضيافة
ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارتحل عن ارضى فتعجب المنصور
واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك
وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه
وهو الدين فكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى
هلاكهم وحدهم دون الكافة (فهذا) عثمان لما حصر في الدار
جاء الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة للفرقة وحفظا للالفة التي بها حفظ الكلمة
ولو ادى الى هلاكه (وهذا) على اشار عليه المغيرة لاول ولايته
باستبقاء الزبير ومعاوية وطاحه على اعمالهم حتى يجتمع
الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من
امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من العث

الذى ينافيه الاسلام وغدى عليه المغيرة من الغداة فقال
اشرت عليك بالامس بها اشرت ثم عدت الى نظرى
فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيها رايته
انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششتنى اليوم ولكن منعى ما اشرت به زايد (1) الحق وهكذا
كانت احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بهزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايته كيف صار الامر الى الملك وبقيت معانى الخلافة
من تحرى الدين ومذاهدب والجري على منهاج الحق ولم يظهر
التغير الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا
وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم
ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا
بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت فى
اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات والملاذ وهذا كما
كان الامر لخلف بنى عبد الهلك ولهن جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية
العرب والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها
ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب

(1) زيد. B. زايد. Man. A.

وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم وبقي الامر ملكا بحتا كما كان
 الشأن في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة
 تبركا والملك بجميع القابهِ ومناحيه لهم وليس للخليفة منه
 شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة
 مع العبيديين ومغراوة وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى امية
 بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد
 وجدت بدون الملك اولا ثم التبت معانيها واختلطت
 ثم انفرد الهلك حيث افرقت عصبته من عصبية الخلافة
 والله مقدر الليل والنهار

PROLÉGOMÈNES
 d'Ebn-Khaldoun.

فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد
 اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين
 لا ينزعه في شيء من ذلك ويطيعه فيها يكلفه به من الامر
 على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده
 جعلوا يدهم في يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع
 والمشتري فسُمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة
 بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو
 المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
 بيعة العقبه وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة
 الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستخلفون على

هذا العهد ويمتوعبون الأيمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين المكره انكرها الولاية عليه وراوها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى الله عنه (واما) البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتدال الهنافيين للرياسة وصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الهلوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لها يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعاله مع الملوك والله القوى العزيز

فصل في ولاية العهد

اعلم انا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لها فيها من

المصاححة وان حقيقتها النظر في مصالح الامة لدينهم
ودنياهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته
وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقوم لهم من يتولى
امورهم كما كان هو يتولاها ويثقون بنظره لهم في ذلك
كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع
باجتماع الامة على جوازه وانعقاده اذا وقع فعهد ابو بكر الى
عمر بمحضر الصحابة واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة
عمر رضى الله عنهم اجمعين وكذلك عهد عمر في الشورى
الى الستة من بقية العشرة وجعل لهم ان يختاروا للمسلمين
ففوض ذلك بعضهم الى بعض حتى افضى الى عبد
الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين
على عثمان وعلى واثر عثمان بالبيعة على ذلك لهوافقته
اياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده
فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا طاعته والهلاء من الصحابة
حاضرون للاولى والثانية ولم ينكرة واحد منهم فدل على انهم
متفقون على صحة هذا العهد عارفون بهشروعيته والاجتماع
حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى
ابيه وابنه لانه مأمون على النظر لهم في حياته فاحرى ان
لا يتحمل فيها تبعة بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في
الولد والوالد ولمن خصص التهمة في الولد دون الوالد فانه

بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيّما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفى الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معاوية الى ايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظنّ انه اولى بها وعدل الى المفضل عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه اهم عند الشارع ولا يظنّ بمعاوية غير هذا فعدالته وصحابته مانعة مما سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تاخذة في الحق هواده وليس معاوية ممن تاخذة العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على تورعه عن الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من

بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى امية والسفاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابناءهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكّلوا كل احد مهن يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو قد عهد الى غير من ترتضيه العصابة لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضى الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وانا اليوم والى على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعنه ابراهيم بن المهدي وظهر من

الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدّد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المامون من خراسان الى بغداد وردّ امرهم لمعاهده فلا بدّ من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيّات وتختلف باختلافها المصالح ولكل منها حكم يخصّه لطفا من الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الالبناء فليس من الهقاصد الدينيّة اذ هو امر من الله يختصّ به من يشاء فينبغي ان تحسن النية فيه ما امكن خوفا من العبت بالمناصب الدينيّة والملك لله يؤتية من يشاء من عباده (وعرض) هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاولى منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فاياك ان تظنّ بعباوية رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل عن ذلك وافضل بل قد كان يعدله ايام حياته في سماع الغناء ونهاه عنه وهو اقلّ من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة يومئذ في شأنه فمنهم من راي الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبيّة بنى

امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية
مصر اجمع فهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم
فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون
ولا نكير على احد من الفريقين فمقاصدهم في البر وتحري
الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والثاني هو شأن العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعيه الشيعة من وصيته
لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس
لكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على
انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل
في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني
ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي
صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضرون موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي
صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شأنهما في العهد فابي
علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطعم فيها آخر
الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد
لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من

اركان الايمان كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من
 الصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان
 الايمان لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستخلف فيها كما
 استخلف ابا بكر في الصلاة ولكن يشتهر كما اشتهر امر
 الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لدينا دليل على ان الوصية به لم تقع ويدل
 ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهتما
 كما هو اليوم وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق
 في مجارى العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان امر
 الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تاليف القلوب
 عليه واستماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال التي
 كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم وتردد
 خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة يتلى
 عليهم فلم يحتاج الى مراعاة العصبية لها شمل الناس من
 صبغة الانقياد والاذعان وما يستفزه من تتابع هذه المعجزات
 الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجها
 لها ودهشوا من تتابعها فكان امر الخلافة والملك والعهد
 والعصبية وسائر هذه الانواع مندرجا في ذلك العباب كما
 وقع فلها انحسر ذلك الهدد بذهاب تلك المعجزات

ثم بقاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت آثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيها ينشاء عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الالهية ازمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية (1) والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والتترك كما ذكرنا عن عمر رضى الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشاء الاجتماع والتوافق الكفيل بهقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشاء عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعبرة والمجتهدون اذا اختلفوا عن الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ولم يصادفه فهو منخطى فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة

(1) Man. A. et B. الجماعة.

ولا يتعين المخطئ منها والتأنيب مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطاء والتأنيب وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هى واقعة على مع معاوية ومع الزبير وطاحنة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك (واما واقعة على) فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مفتريين فى الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع (1) ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والهيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة من مظعون وابى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى تكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه ووطنوا بعلى هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لا فى المهالات (2) عليه فحاش لله ولقد كان معاوية اذا صرح بهلامته انما

(1) Man. A. et B. تابع.
Томе XVI. — 1^{re} partie.

(2) Man. A. المحالاة. B. المهالة.

يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى
على ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجماع (1)
من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم
وموطن الصحابة وارجاء الامر في المطالبة بدم عثمان الى
اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك ورأى
الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل
والعقد بالافاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق
اهل الحل والعقد ولا تلزم لعقد من تولاه من غيرهم او من
القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم
عثمان ثم يجتهدون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمرو
بن العاص وآم المومنين عايشة والزبير وابنه عبد الله وطالحة
وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن
جديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن
بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من
بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين
وتصويب رايه فيما ذهب اليه وتعيين الخطاء في جهة
معاوية ومن كان على رايه وخصوصا طالحة والزبير
لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع
التأنيب عن كل واحد من الفريقين كالشأن في المجتهدين

(1) Man. C. et D. باجتماع.

وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولى
 اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله
 عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذى نفسى بيده
 لا يموتن احد من هولاء وقلبه نقى الا ادخله الله الجنة يشير
 الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يقعن عندك ريب
 فى عدالة احد منهم ولا قدح بشئ من ذلك فهم من علمت
 وافعالهم واقوالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ
 منها عند اهل السنة الا قولا للمعتزلة فيهن قاتل عليا لم
 يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت
 بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف فى
 شأن عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت
 فتنة ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
 وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة
 والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب قد نزلوا هذه
 الامصار حفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه
 وسلم ولا هذبتهم سيره وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
 فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن
 سكينة الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى
 ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل
 واهل الحجاز ويثرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا

من ذلك وغصوا به لها يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم
وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل
وعبد القيس من ربيعة وقبائل كندة ولازد من اليمن وقبائل
تميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغص من قريش
والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك
بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز عن
السرية والعدول في القسم عن السوية (1) وفشت القالة (2)
بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه
وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف الخبر بعث
ابن عمر ومجد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا
على الامراء شيئا ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما
علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشاعات
تكثر والاشاعات تنمو ورمى الوليد ابن عقبة وهو على
الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان
وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال
وشكوا الى علي وعائشة والزبير وطاحه وعزل لهم عثمان
بعض العمال فلم ينقطع بذلك سنتهم بل وفد سعيد بن
العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه
معزولا ثم انتقل الخلف بين عثمان ومن معه من

(1) Man. A. et B. التسمية.

(2) Man. A. et B. القائلة.

الصحابة بالمدينة ونقوا عليه امتناعه من العزل فابى
 الا ان يكون عن جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من
 افعاله وهو مهتسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمّع
 قوم من الغوغا وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من
 عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من
 البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك على وعائشة
 والزبير وطاحه وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان
 الى رأيهم فيها وعزل لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم
 رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدّس يزعمون انهم لقوه فى يد
 حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك
 فقالوا مكّتا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال
 عثمان ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم
 بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة
 فلكل من هواء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بامر الدين
 ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا
 والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظنّ بهم الا خيرا
 لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم (واما الحسين)
 فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره ودعت
 شيعة اهل البيت بالكوفة الحسين ان ياتيهم فيقوموا بامر
 فراى الحسين ان الخروج على يزيد متعيّن من اجل فسقه

لا سيّما على من له القدرة على ذلك وظنّها من نفسه
 باهليّته وشوكته فاما الاهليّة فكانت كما ظنّ وزيادة واما
 الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في
 قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف
 انما كانت في بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وساير
 الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل
 الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصر
 المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهلية
 ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق
 المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوايد فعادت العصبية
 كما كانت ولمن كانت واصبحت مضر اطوع لبنى امية
 من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لذلك
 غلط الحسين الا انه في امر دنياوي لا يضرة الغلط فيه
 واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه
 القدرة على ذلك ولقد عدله ابن عباس وابن الزبير وابن
 عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
 غلظه في ذلك ولم يرجع عتبا هو بسبيله لما اراده الله (واما)
 غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد

بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد
وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشاء عنه من الهرج والدماء
فاقصروا عن ذلك ولم يبايعوا الحسين ولا انكروا عليه
ولا اثموا لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك
الغلط ان تقول بتأنيب هؤلاء لمخالفة الحسين وعودهم عن
نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج
عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكربلاء
على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله و ابا سعيد
وانس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم
ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه
انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه
وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله
لما كان عن اجتهاد وان كان هو على صواب اجتهاد ويكون
ذلك كما يحد الشافعي والمالكي الحنفى على شرب
النبيد واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن
اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله
يزيد واصحابه ولا تقولن ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز
هؤلاء الخروج عليه فافعله عندهم نافذة صحيحة واعلم انه
انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من
شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا

يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته الموكدة
لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد
والصحابه الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد
غلط القاضى ابو بكر بن العربى المالكى فى هذا فقال فى
كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط الامام
العادل فى قتال اهل الآراء (واما ابن الزبير) فانه رآى فى
خروجه ما رآه الحسين وظنّ كما ظنّ وغلطه فى امر
الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية فى جاهلية
ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء فى جهة مخالفه كما كان
فى جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك
قضى لنا به ولم نجده هاهنا واما يزيد فعين خطاوه فسقه
وعبد الهلك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة
وناهيك فى عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن
عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز
مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير
لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون مجولون
على الحق فى الظاهر وان لم يتعين فى جهة منهما والقتل
الذى نزل به بعد تقرير ما قرناؤه يجرى على قواعد الفقه

وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحرّيه الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة القدر فمن الذى يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرنى ثم الذى يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفشوا الكذب فجعل الخيرية وهو العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فاياك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرفه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قتلوا ولا قتلوا الا فى سبيل جهاد واطهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدى كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فانهم ذلك وتبين حكم الله فى خلقه واكوانه

فصل فى الخطط الدينية الخلافية

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذى هو مامور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى

رعايته مصالحهم في العمران البشري وقد قدّمنا ان هذا
العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد
ان اهملت وقدّمنا ان الملك وسطوته كافي في حصول
هذه المصالح نعم انها تكون اكمل اذا كانت بالاحكام
الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج
تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد
اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة
وظايف تابعة تتعين خطأ وتتوزع على رجال الدولة
وظايف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي
تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه
بسلطانه (واما) المنصب الخلفي وان كان الملك يندرج
تحت هذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص
بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين (فلنذكر)
الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الهلوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقضاء
والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرج تحت الامامة الكبرى
التي هي الخلافة وکانها الامم الكبير والاصل الجامع وهذه
كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها
في سائر احوال الملة الدينية والديوية وتنفيذ احكام الشرع
فيها على العموم (فاما امامة الصلاة) فهي ارفع هذه الخطط

كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
 الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن
 ابي بكر رضى الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
 في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لديانا فلولا ان الصلاة ارفع من السياسة
 لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في
 المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات
 المشهودة (1) واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست
 للصلوات العامة (فاما) المساجد العظيمة فامرها راجع الى
 الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض
 فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيد
 والخسوفين والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق
 الاولى والاستحسان وثلا يفتات (2) الرعايا عليه بشئ من النظر
 في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من
 يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده
 واجبا (واما) المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع
 الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام
 هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه
 ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا

(1) Man. A. et B. المشهورة.

(2) Man. D. يفتات.

نطول بذكره (وقد) كان الخلفاء الاولون لا يقلدونها لغيرهم
من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند
الايدان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها يشهد لك
ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها
وكذا كان حال الدولة الاموية من بعدهم استيئارا بها
واستعظاما لرتبتها (يحكى) عن عبد الملك انه قال لحاجبه
قد جعلت لك حجابة بابى الا عن ثلاثة صاحب الطعام
فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد
فان في تاخيرها فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك
وعوارضه من الغلظة والترقع عن مساواة الناس في دينهم
ودياهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستاثرون بها في الاحيان
وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويها فعل
ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبديين صدر دولتهم
(واما الفتيا) فللخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا
الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس
باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم
فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له
باهل فيضلل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه
والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد
العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ايتمها كما مر

فلا بد من استيذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون لكل احد من المفتيين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع من التصدي لما ليس له باهل فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد وفي الاثر اجراؤكم على الفتوى اجراؤكم على جرائم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجهه الصالحة من اجازة او رد (واما القضاء) فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضاء في شئ الى سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضي الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاء وهي مستوفاة فيسعد (اما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطهع شريف في حيفك ولا يئاس ضعيف من عدلك البينة على

من ادعى واليمين على من انكر والصلاح جايز بين المسلمين
الا صلاحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنحك قضاء قضيته
امس فراجعته اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان
ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
التمادي في الباطل الفهم فيما تلجأ في صدرك مما
ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس
الأمور بنظايرها واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا
ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحلت
القضية عليه فان ذلك انفي للشك واجلي للعمى
المسلمون عدول بعضهم في بعض الا مجلودا في حد او
مجريا عليه شهادة زور او ظنينا (1) في ولاء او نسب فان الله
سبحانه عفى عن الايمان ودراء بالبينات واياك والقلوب
والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في موطن
الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى
كتاب عمر واتما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما
يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من
الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن
ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية به فاستخفوا امر
القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به

(1) Man. A. et C. ظنينا. D. ضنينا.

تخفيفا عن انفسهم وكانوا مع ذلك انها يقلدونه اهل
عصبيتهم بالنسب او الولاء ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في
ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب
الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية لان القاضى انما
كان له فى عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع
لهم بعد ذلك امور اخرى على التدرى بحسب اشتغال
الخلفاء والهلوک بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء
آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء
بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر فى اموال المحجور
عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفى
وصايا المسلمين ووقفهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء
على راي من يراه والنظر فى مصالح الطرقات والابنية
وتصحيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم
بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها
من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته (وقد) كان الخلفاء من قبل
يجعلون للقاضى النظر فى المظالم وهى وظيفة ممتزجة
من سطوة السلطنة ونسفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم
رهبة يجمع المظالم من الخصمين ويزجر المتعدى وكان يهضى
ما عجز القضاة او غيرهم عن امضائه ويكون نظره فى
البيانات والتعزيز واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم

الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضى وكان الخلفاء الاولون
يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدى من بنى العباس وربها
كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل على رضى الله عنه مع
قاضييه ابى ادريس الخولانى وكما فعله المامون ليحيى ابن
اكرم والمعصم لابن ابى داود وربها كانوا يجعلون للقاضى
قيادة الجهاد فى عساكر الصوايف وكان يحيى ابن
اكرم يخرج ايام المامون بالصايفسة الى ارض السروم
وكذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من
بنى امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظائف
انما تكون للخلفاء او من يجعلون ذلك له مسن وزير
مفوض او سلطان متغلب (وكان) ايضا النظر فى الجرائم
واقامة الحدود مختصا فى الدولة العباسية والاموية بالاندلس
والعبيدية بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهى
وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة
فى الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل
ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة فى محلها ويحكم فى
القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب فى حق مسن لم
ينته الى الجريمة ثم توسى شأن هاتينوظيفتين فى الدول

التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم واجعل الى
السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت
وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهم على الجرائم واقامة
حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب
لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة
دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة
باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود فى الجرائم
الثابتة شرعا فجمع للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من
توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك
وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما
كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا
لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم
بالحلف او الرق او بالاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه
فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وظهورها وصار الامر
كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه
بعض الشئ لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم
خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من امم
الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم
بمنحها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان
الشريعة دينهم والنبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه

وشرايعه نحلتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك
 اتما يولونها جانبا من التعظيم لما دانوا بالملة فقط فصاروا
 يقلدونها من غير عصابتهم من كان تأهل لها في دول
 الخلفاء السالفة وكان اولئك الهتاقلون بما اخذهم ترف
 الدول منذ مئين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها
 والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن
 انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكية من بعد
 الخلفاء مختصة بهذا الصنف من الهستضعفين في اهل
 الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بانسابهم
 وما هم عليه من الحضارة فلحقهم من الاحتقار ما يلحق
 الحضرة المنغمسين في الترف والدعة البعدا عن عصبية
 الملك الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في
 الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشريعة لها
 انهم الحاملون للاحكام المفتون بها ولم يكن ايتارهم في
 الدولة حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجمل
 بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم
 يكن لهم فيها من الحل والعقد شئ وان حضرة فحضور
 رسمى لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحل والعقد اتما هو لاهل
 القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل ولا عقد لديه اللهم
 اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنعم والله

الموفق (ورثها) يظنّ بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الهلوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجرى على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في هولاء لا تقتضى لهم بشئ من ذلك لان الشورى والحل والعقد انها يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لاعصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اى معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم شورا فيما يعلمه من الاحكام فموجودة في الاستفتاء خاصة واما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الهلوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكرامهم ولا يتصفون

لا بالآقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضي الله عنهم
واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافا بها
وتحقيقا (1) بهذاهبها فمن حملها انصافا وتحقيقا. (2) دون
نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع
له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء
التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء
على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد
احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث
صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب
اقوال ينصها علينا في كميّات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء
عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (العدالة)
وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه وحقيقة هذه
الوظيفة القيام عن اذن القاضى بالشهادة بين الناس فيما لهم
وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتابا في
السجلات يحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر
معاملاتهم وانما قلنا عن اذن القاضى لان الناس قد اختلطوا
وخفى التعديل والجرح الا على القاضى فكانه انما ياذن
لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس امورهم ومعاملاتهم
وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من

(1) Man. C. تحقّقا.

(2) Man. تحقّقا.

الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة الاحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كآتهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضى تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هولاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة بهم في تعديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيقولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس فيها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي يتبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله سبحانه اعلم (الحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على
القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين
فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات
ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة
في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع
الحمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم
على اهل المباني المتعينة للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من
ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين بالهكاتب
وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف
حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل
الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في
الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في الهاميش
وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل الهامطلين
على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سهاع بينة
ولا نفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها القضاء لعمومها وسهولة
اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها
على ذلك ان تكون خادمة لهنصب القضاء وقد كانت
في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب
والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولى فيها
باختياره ثم لها انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار

نظرة عاما في امور السياسة فاندرجت في وظائف الهلك وانفردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد آتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فتوضع على الدينار او الدرهم بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر (1) ومذهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا اتفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بمائلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تدخل في عهوم ولاية القضاء ثم انفردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة (هذا) آخر الكلام في الوظائف الخلافة وبقيت منها وظائف

(1) Man. A. et B. النظر.

ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم عليها في مكانها بعد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه في غالب السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال وقد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة فقد اندرجت (1) رسوم الخلافة ووظايفها في رسوم الملك والسياسة في ساير الدول لهذا العهد والله مصترف الامور بحكمه

فصل في اللقب بامير المومنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بويع ابو بكر رضى الله عنه كان الصحابة وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع لعمر رضى الله عنه بعهدة اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه يتزايد فيما بعد دايمًا الى ان ينتهي الى المهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى سواه ما يناسبه ويدعى

(1) Man. A. et B. اندرست.

به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد ابن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ واتفق ان بعض الصحابة نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول اين امير المومنين وسمعتها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبنا والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه به وذهب لقبها له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها احد سواهم ساير دولة بنى امية (ثم) ان الشيعة خصوا عليا رضى الله عنه باسم الامام نعتا له بالامامة التى هى اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى انه احق بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا

يدعون ايّمتهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعا له
وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه
السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون
الاّية من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله
المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابى القسم من
بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المؤمنين
وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه
ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا
اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز
والشام والعراق المواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة
واصل الملة والفتح وازداد لذلك في عنفوان الدولة وبذخها لقب
اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لها في امير المؤمنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا
لاسماهم الاعلام عن امتنانها في السنة السوقة وصونا لها عن
الابتدال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والهادى والمهدى والرشيد
الى آخر الدولة واقتفى اثرهم في ذلك العبيديون بافريقية
ومصر وتجاوى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجزيا مع
الغضاضة والسداجة لان العروبية ومنازعتها لم تفارق حينئذ
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما
بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما عملوه من انفسهم من

القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز أصل العرب والهبة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم إنما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بنى العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم وهو الناصر بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيئتهم في الخلفاء بالغزل والاستبدال والقتل والسهل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسهي بامير الهومنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهبا لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافة وتقلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنایع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنى امية واقتسوه وافترق امر الاسلام فاختلقت مذاهب الهلوك بالمغرب والشرق في الاختصاص بالالقباب بعد ان تسموا جميعا باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصصونهم بالقباب تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعضد

الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك
وبهاء الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون
ايضا يخصصون بها امراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلفاء
قنعوا بهذه الالقباب وتجاؤا عن القاب الخلافة ادبا معها
وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين
كما قلناه قبل ونزع المتأخرون من اعاجم المشرق حتى
قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة
والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة
الى استحالة الالقباب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور
زيادة الى القاب كانوا يخصصون بها قبل هذا الانتحال
مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما اضافوها الى
الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين (واما
ملوك الطوائف بالاندلس) فاقسموا القاب الخلافة وتوزعوها
لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا
بالناصر والمنصور والمعتمد والظفر وامثالها كما قال ابن
شرف ينعي عليهم ذلك

ما يزهدي في ارض اندلس اسما معتد فيها ومعتصد
القاب مملكة في غير موضعها كالهو يحكى انتفاخا صورة لاسد

وقد مر ذكرها (واما صنهاجة) فاقترضوا على الالقباب التي
كان خلفاء العبيديين يلقبونهم بها للتنويه مثل نصير الدولة

وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعد الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم السلطان وكذا شأن مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الألقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة (ولما) محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الخير والافتداء نزعت همته الى الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة له على المغرب واستشعار زتهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة (وجاء المهدي) على اثرهم داعيا الى الحق اخذا بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التأويل لطواهر الشريعة وما يؤل اليه ذلك كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسهى اتباعه

الموحدين تعريضا بذلك الكبير وكان يرى رأى اهل البيت
 في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده
 نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب
 الشيعة في القاب خلفائهم واردف بالمعصوم اشارة الى مذهبه
 في عصمة الامام وتنزه عنده اتباعه عن امير المومنين اخذا
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولها فيها من مشاركة الاغيار
 والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب
 ثم انتحل عبد المومن ولي عهده اللقب بامير المومنين وجرى
 عليه من بعده خلفاء بنى عبد المومن وآل ابي حفص بافريقية
 من بعدهم استيئارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم
 الهمدى من ذلك وانه صاحب الامر واوياوه من بعده
 كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان
 ذلك دأبهم (ولها) انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زناتة
 ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسداجة واتباع لمتونة في
 انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التي
 كانوا على طاعتها لبنى عبد المومن اولا ولبنى ابي حفص
 من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المومنين
 وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتتهيها
 لمذاهبه وسياته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قائم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسوى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القاييم بها اليهما معا (واما) ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في الهدافة فقط فصار القاييم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية بها فيها من الطلب للهلك بالطبع كما قدمناه لانهم مكلفون بالتغلب على الامم كلها في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليها نحو اربعمائة سنة لا يعنون بشيء من امر الهلك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان القاييم به

بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم في الدين وابعد عن شعب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله وسلامه عليه فحاربتهم امم الفلسطينيين والكنعانيين والارمن (1) واذوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو اربعمائة سنة ولم يكن لهم صولة الملك وضجر بنو اسرائيل من مغالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم في تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليها واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم اقترق الاسباط من بعد

(1) Man. B. الارمن.

سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدّمناه الى دولتين كانت احدهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة وكرسى ملكهم صبصطية وقد خربت من لدن بخت نصر والاخرى بالقدس لبنى يهوذا وبنى يامين ثم غلبهم بخت نصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اولا للاسباط العشرة في صبصطية ثم ثانيا بنى يهوذا ببيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرّب مسجدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم للكهنونية (1) فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنونية (2) الذين كانوا فيهم من بنى حشمناي وقاتلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهار بنى حشمناي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وافحشوا في القتل والهدم والتحريق وخرّبوا بيت المقدس

(1) الكهنة. Man. C. et D.

(2) الكهنة. Man. C. et D.

واجلوهم عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثانى
 للمسجد ويسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يقيم لهم بعدها
 ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك فى ملكة
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس المسمى بالكوهن
 (وكان المسيح) صلوات الله وسلامه عليه لما جاءهم بما جاء
 به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يده الخوارق العجيبة من ابراء المغتوه واحياء الموتى واجتمع
 عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه
 وكانوا اثنى عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعيين الى
 ملته وذلك ايام اوغشطش اول ملوك القياصرة وفى مدة
 هيردوس ملك اليهود التى انتزع الملك من بنى حشمنائى
 اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم
 ملك القياصرة اوغشطش يغيره به فاذن لهم فى قتله ووقع
 ما تلاه القران من امرة وافترق الحواريون شيئا ودخل اكثرهم
 الى بلاد الروم داعيين الى دين النصرانية (وكان) بطرس كبيرهم
 فنزل برومة دار ملك القياصرة (ثم) كتبوا الانجيل الذى
 انزل على عيسى صلوات الله عليه فى نسخ اربع على
 اختلاف رواياتهم فكتب متا انجيله فى بيت المقدس
 بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطينى
 وكتب لوقا منهم انجيله باللطينى لبعض اكابر الروم وكتب

يوحنا بن زبدي انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وغالبها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا (واجتمع) الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الهة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بريا يوميين وكتاب الهقايين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يوشع بن شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب القتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالبسيس (1) وفيه روبا يوحنا بن زبدي

(1) Man. A. B. C. ابوغالبسيس.

(واختلف) شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها (وكان) صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطررك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من اسم النصرانية ويسمونه الاسقف اى نايب البطررك ويسمون الامام الذى يقيم الصلوات ويفتيهم فى الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذى حبس نفسه فى الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم فى الصوامع (وكان) بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام بخلافته فى كرسى رومة اربوس (وكان) مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حانيا وتسمى بالبطررك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثنى عشر قسا على انه اذا مات البطررك يكون واحد من الاثنى عشر مكانه ويختار من الهومنين واحدا مكان ذلك الثانى عشر فكان امر البطاركة الى القسوس (ثم) لما وقع الاختلاف بينهم فى قواعد دينهم وعقايدة واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق فى الدين واتفق ثلثماية وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد فى الدين فكتبوه وسموه

الامانة وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبه ان البطررك
القايم بالدين لا يرجع فى تعيينه الى اجتهاد الاقسمة كما
قررة حانيا تلميذ مرقاس وابطل ذلك الراى وانبأ يقدم عن
ملاء واختيار من ائمة المومنين وروسائهم فبقى الامر ثم اختلفوا
بعد ذلك فى قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات فى تقريرة
ولم يختلفوا فى هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل
فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطررك
بالاب تعظيما له فصار الاقسمة يدعون الاسقف فيما غاب عن
البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم فى اعصار متطاولة
بقال اخر بطررك حرقل باسكندرية فارادوا ان يهيزوا البطررك
عن الاسقف فى التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجس بن الهميد فى تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه
كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الآن (ثم)
اختلف النصارى فى دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه فى المسيح
وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على
صاحبه فاختلف الحال فى العصور فى ظهور فرقة دون فرقة الى
ان استقرت لهم ثلاث طوائف هى فرقههم ولا يلتفتون الى غيرها
وهم الملكيه واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نستخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهى على الجملة معروفة وكلها

كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال إنما هو الاسلام او الجزية او القتل (ثم) اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة للفرنجة وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على راي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهراينهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة من مذايب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد اليك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تحرجا من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرطور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمتين ويباشره بوضع التاج على راسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظة الانبرطور هذا ماخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين اللذان هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

TABLE

DE LA PREMIÈRE PARTIE DU TOME XVI.

**PROLÉGOMÈNES D'EBN-KHALDOUN, première partie du texte arabe, publié
par M. Et. Quatremère. page 1**

PREMIÈRE PARTIE.

LSoc 1621.25 (16')

1860, Oct. 27.

Some 16, 1st partie, 17, 1st partie, 18, 1st partie,

19, 2^d partie \$7.20

Hollis Fund



1860
OCT 27

NOTICES ET EXTRAITS
DES
MANUSCRITS
DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE
ET AUTRES BIBLIOTHÈQUES,
PUBLIÉS PAR L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,

FAISANT SUITE

AUX NOTICES ET EXTRAITS LUS AU COMITÉ ÉTABLI DANS L'ACADÉMIE
DES INSCRIPTIONS ET BELLES-LETTRES.

—
TOME SEIZIÈME.



PARIS.

TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES, FILS ET C^o,

IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,

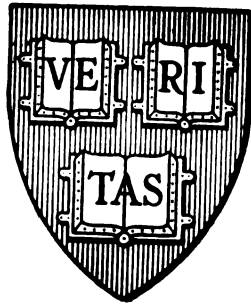
RUE JAC B, 56,

M DCCC LVIII.

1.70

NOTICES ET EXTRAITS
DES
MANUSCRITS
DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE
ET AUTRES BIBLIOTHÈQUES.

LSoc 1621.25 (15')



HARVARD
COLLEGE
LIBRARY

